

حقوق الملكية عند المرأة النبطية دراسة في ضوء النقوش النبطية في الحجر (مدائن صالح)

فتحية عقاب

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ٢٧ / ١٢ / ١٤٢٨هـ؛ وقبل للنشر في ٧ / ٣ / ١٤٢٩هـ)

ملخص البحث. يعنى هذا البحث بمدى تمتع المرأة النبطية بحقوقها الفطرية في تملك الأشياء المادية، وذلك من خلال مضامين النقوش النبطية في مقابر الحجر (مدائن صالح). التي قسمت في هذا البحث إلى مجموعتين رئيسيتين الأولى هي نصوص تتحدث عن تفرد المرأة في حق التملك. والثانية نصوص تتحدث عن مشاركة الآخرين معها في التملك، وكشفت لنا مضامين هذه النقوش الوسائل التي من خلالها استطاعت المرأة النبطية أن تملك، - وهي عبر طرق ثلاثة هي التملك عن طريق الوصية و التملك عن طريق الإرث و التملك عن طريق الإهداء والهبة. وخلصت الدراسة إلى أن المرأة النبطية نالت حق التملك وما يتبعها من معاملات مالية من بيع وشراء وتأجير واستقلالية قانونية .

منذ البدايات الأولى لاستقرار الإنسان في مواطن محددة من الأرض، سرعان ما تولدت لديه رغبة في الدفاع عن حقوقه الإنسانية باعتبارها جزء من أمنه وسلامته ومواصلته لإعمار الأرض من أجل البقاء. وتبرز من بين الحقوق الإنسانية التي جبل عليها الإنسان "حق التملك" بوصفه حق يميز له استخدام الشيء المملوك له والتمتع به والتخلص منه حسبما يراه مناسباً وفق الزمان والمكان، ولهذا يعتبر هذا الحق حجر الزاوية لتحقيق التوازن بين المصالح الشخصية وتجلياتها النابعة من طبيعة الإنسان وحبه للتملك وبين المصالح الاجتماعية التي تتطلع لتحقيق قفزة في الإمكانيات المتاحة لتحسين المستوى العام لحياة الفرد والمجتمع.

وتشير شواهد التاريخ إلى أن نزعة التملك والرغبة في امتلاك الأشياء العينية فطرة طبيعية تتولد لدى الإنسان مع بداية إدراكه لأهمية الحياة، فلا فرق بين جنس وآخر. الآية: قال تعالى «ولا ما فضل الله به بعضكم على بعض، تتمنوا للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن»^(١) ولكن متغيرات الحياة الاجتماعية للإنسان عبر تاريخه الطويل جعلت الرجل يسلب المرأة بعضاً من حقوقها. وباستعراض مجمل لوضع المرأة في حضارات الشرق الأدنى القديم، وخصوصاً في تملك الأشياء يتضح أنها - رغم ذلك - تمتعت بحق الملكية بشكل متفاوت تبعاً للأنظمة القانونية والدينية والأعراف السائدة في مجتمعاتها. ففي حضارة وادي النيل القديمة نالت المرأة خلال العصر الفرعوني حق التملك والإرث بل والوصاية أيضاً (صالح ١٩٨٥م، ٦٩؛ سالم، ٢٠٠١م، ٣٨٥-٣٨٦)، أما في عهد البطالمة الإغريق، فقد أنزلوا المرأة المصرية التي كانت تتمتع بالاستقلالية القانونية وحق التملك والميراث إلى ما كانت عليه المرأة الإغريقية آنذاك، وفقاً للعرف الإغريقي الذي يعتبر المرأة قاصرة في نظر القانون، ويفرض الوصاية عليها فيما تتصرف وتتملكه (العابد، ١٩٩٣م، ٢٨١-٢٨٢). وفي العهد الروماني فقد كفل القانون للمرأة حق التملك والتوريث والتصرف بحرية فيما تملك من عقار من شراء أو بيع أو تأجير، أما حضارة وادي

الرافدين فقد تمتعت المرأة عند السومريين بحرية التملك بدون أي وصاية، فكان لها الحق في امتلاك العقارات على أن تدفع ضريبة سنوية ولها حرية العمل بالتجارة (رشيد، ١٩٧٣م، ٤٧)، وكذلك عند البابليين، فقد أشارت تشريعات "حمورابي" وتشريعات "أشنونا"^(٢) إلى حرية المرأة في التصرف فيما تملكه وحققها في توريثه لمن تشاء من أبنائها دون الآخرين (يوسف، ٢٠٠٥م، ٣١-٣٦؛ سليم، ٢٠٠٧م، ١١٣؛ Meek، 1969، 168). في حين أن المرأة في آشور ليس لها حق الميراث وإن حدث وتملكت فهو عن طريق الهبة من والدها أو زوجها (يوسف، ٢٠٠٥م، ٤٠؛ سالم، ٢٠٠٠م، ٣٨٣، ٣٨٨؛ Meek، 1969، 184).

وتظهر النصوص الأوجاريتية أن المرأة في سوريا القديمة كانت تؤدي دوراً هاماً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهي ترث و تبيع وتشتري وتقرض، وتمارس العمليات الاقتصادية المختلفة باسمها سواء كانت ملكة أو إحدى سيدات المجتمع، وهذا يؤكد حقها في التملك والإدارة المستقلة لأملأها. ومن أبرز الشواهد على استقلاليتها استخدامها لخاتمها

(٢) أشنونا: نسبة إلى مملكة أشنونا (تل أسمر الحالية) التي تقع ضمن محافظتي بغداد وديالى، وقد كان يتبعها عدة مدن منها تل حرمل الذي عثر فيها خلال حفريات مديرية الآثار العراقية على مجموعة من الألواح تتضمن نصوصاً لبعض القوانين، غير أن هذه النصوص المكتشفة ليست القانون الأصلي وإنما نماذج استخدمت للتعليم، ويعتبر تشريع أشنونا أول القوانين التي كتبت باللغة الأكادية. أنظر مهران، ١٩٩٠م، ٢٠٥؛ مرعي، ١٩٩٥م، ٣٣.

الشخصي في العقود. (أيوب، ١٩٩٠، ٣٣).

أما المرأة اليهودية فقد كان التشريع اليهودي يلزم المرأة بالخضوع لوصاية الرجل سواء كان أبوها أو زوجها في إدارة شئونها المالية، فمن حق الزوج الانتفاع من ربع ممتلكات زوجته دون التصرف في الأصل ولا يحق للزوجة التصرف في ممتلكاتها إلا بعد موافقته، لأن ريعها من حق الزوج (يوسف، ٢٠٠٥م، ١٠٤؛ جبري ٢٠٠٧م، ٨٢)، وهذا بخلاف المجتمع العربي فقد اختلفت مكانة المرأة من منطقة إلى أخرى، إذ تشير معطيات نصوص جنوب غرب الجزيرة العربية (نقوش المسند) إلى تمتع المرأة بحقوق وواجبات مساوية للرجل ومنها حق التملك وحق الإرث، ليس ذلك فحسب بل تجاوزت ذلك إلى قيامها بعقد صفقات تجارية كالبيع أو الشراء (النعيم ٢٠٠٠م، ٢٥٣، ٢٢٨)، فقد جاء - على سبيل المثال - في أحد النقوش العربية الجنوبية القديمة ما يفيد بأن "سئل حرم لعون بنت...د بنت مقبرتها ووضعها تحت حماية المعبود إل مقه والمعبود تالب ريام وتضرعت لمعبود السماء أن يلاحق ويطارد ويصيب بالعمى كل إنسان يرتكب دنساً في تلك المقبرة" (النعيم ٢٠٠٠م، ٢٤٢). أما في عصر قبيل الإسلام (العصر الجاهلي) فقد تملك المرأة الأموال وتصرفت بها وفق ما تشاء، بدليل أن السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، والسيدة رومي في مدينة نجران تملكنا عقاراً وثروات طائلة^(١) (الحموري، ٢٠٠٢م، ٣٥)،

ورغم ذلك فعلى ما يبدو من رواية المصادر العربية أن ثمة تغير حدث في التركيبة الاجتماعية خلال تلك الفترة، خصوصاً في منطقة الحجاز، حيث أصبح العرف السائد في الميراث عند الجاهليين هو أن يكون الإرث خاصاً بالذكور دون الإناث على أن يكون ممن يركب الفرس ويحمل السلاح، أي أن يكون محارباً (علي، ١٩٨٠م، ج ٥، ٥٦٢؛ الناصر، ١٩٩٤م، ١٣٥).

وفي ضوء هذا التفاوت الملحوظ في حق تملك المرأة بين حضارات الشرق الأدنى القديم يتبادر إلى الذهن سؤال مؤداه ماذا عن حقوق المرأة في الحضارة النبطية، وهل أجاز لها المجتمع النبطي أن تتمتع بحقوقها الفطري في تملك الأشياء المادية. تفضي مضامين النقوش النبطية، خصوصاً نقوش مقابر الحجر (مدائن صالح)^(٢) إلى أن المرأة النبطية تمتعت بحق التملك، وما يصاحبه من صلاحيات أخرى، مثل البيع والشراء أو التأجير أو المنح أو الإهداء.

(٣) السيدة رومي من أعيان مدينة نجران وأثريائها، ورثت من عائلتها ثروة طائلة ومتنوعة تتكون من أراضي وضياع وكميات كبيرة من العملة صكت من الذهب والفضة لها، وكذلك حلي وأحجار كريمة، ولها معاملات مالية من بيع وشراء وإقراض بدليل أن معد يكرم ملك الحميريين طلب منها أن تؤجل أثني عشر ألف دينار كانت قد أقرضتها إياه. (بيغوليفسكيا، ١٩٦٤م، ص ٣٠٣، ٣٠٥-٣٠٧).

(٢) تتميز مقابر الأنباط في مدائن صالح بأنها مقابر جماعية، أي أن المقبرة الواحدة تشتمل على عدة مدافن بعضها على هيئة فجوات في الجدران الجانبية للمقبرة، والبعض الآخر محفور في أرضية المقبرة.

الأخرى، ويبدو أن العقوبة الدينية لم تكن بمفردها قوة كافية لردع المعتدي على المقبرة، بل كانت بحاجة لقوة أخرى تدعمها وهي العقوبة الدنيوية التي تتمثل في فرض غرامات مالية على مرتكب المحذور بدفع ألف قطعة عملة حارثية.

وتظهر حقيقة تفرد المرأة في حق التملك، وحريتها التامة في إدخال من تشاء من أولادها معها فيما تملكه، كما يتضح من خلال عدد من النقوش النبطية، فقد جاء في أحدها ما نصه: (نق ١- الذيب ١٩٩٨ م ٢٠٠ -

(Healy، 1993، 11؛ JS، 11؛ CIS، 211). (١) دن هج وخ
ادي ع بدت وش وش وح برت (٢) ب ج
رت لن فس هـ ب ج و وج را دي ل هول ب
ت هـ (هذا اللحد الذي عملت وشوح بنت بجرت
لنفسها بداخل المقبرة (هي) لها ولا بنتها). ويتحدث
نقش آخر (نق ٢-الذيب، ١٩٩٨م، ٢٠٥. CIS Heal-
16؛ ey، 1993، 16؛ JS، 16)؛ عما نصه: (١) دن هك فرا
دي ع ب دو ك م كم ب رت وال ت ب رت ح
رم و(٢) وكل لي ب ت ب رت هل ن فس هـ
م واخ رهـ م بي رخ ط ب ت س ن ت(٣) ت س
ع ل ح ر ث ت م ل ك ن ب طور ح مع م هـ وي ل
ع ن ذوش را (٤) وم وت ب هـ وال ت م ن ع م
ن دوم نوت ووقي س هـ م ني زب ن(٥) ك
ف را دن هاوم ني زب ناوي رهـ ناوي ن ت
ني ت هاوي نف ق (٦) م نهـ ج تاوش
ل واوم ني ق ب رب هـ غي رك م كم ب رت
هـ (٧) واخ رهـ م وم ن دي لا ي ع ب دك دي
ع ل اك تي ب فا ي ت ي ع م هـ (٨) ل ذوش
را وهـ بل وول نوت وش م دين ٥ ول اف ك
ل اق ن س(٩) سل عي ن ال فح رث ي بل
ع دم ن دي ن ف ق بي دهـ ك ت ب م ن ي د

(٥) كان للأنباط عدة آلهة على رأسهم الإله ذو الشرى حيث كانت له مكانة متميزة عند الأنباط يقابله الإله اليوناني زيوس كما يقابل الإله بعل شمين والإله بعل وهدد في الديانات السامية، وكان على شكل حجر أسود أو مسلة سوداء غير منحوتة له أربع زوايا. انظر: Starcky، 1966، 913؛ Hammond، 1973، 95-96

الاعتداء وهي عدم انتقال ملكية المقبرة بالبيع أو الشراء أو الرهن أو المنح، وعدم إخراج شيء من محتوياتها، واشترطت على من يدفن معها غير ابنتها وذريتها، أن يمتلك وثيقة تؤكد موافقة كمكم على دفنه في المقبرة، وهذا يؤكد أن المرأة النبطية لها كفاءة قانونية معترف بها في المجتمع النبطي.

ويدلل هذا النقش من جانب آخر أن للمرأة النبطية ثروتها الخاصة التي مكنتها من بناء مقبرة عالية التكاليف، مما استتبع قيامها بأنشطة أخرى مثل استئجار نحات، وعامل بناء، وكاتب لكتابة النقش على المقبرة، وهذا معناه أن للمرأة النبطية حضور في مجتمعها، مما مكّنها من التعامل بحرية مع مختلف أفرادها، فلم تكن حبيسة الدار كالمرأة اليونانية أو الفارسية.

ويشير نقش نبطي آخر إلى ملكية سكيئة بنت مرة المزنية لمقبرة لها ولذريتها: (نق ٣- الذيب، ١٩٩٨ م، ٢١٣. JS، 23؛ CIS، 216؛ Healey، 1993، 23؛ دن هـ ك ف ر ا د ي س ك ي ن ت ب ر ت م ر ت م ز ن ي ت ا و ل ب ن ي ه و ل ب ن ت هـ (٢) وي ل د هـ م ع د ع ل م. (هذه المقبرة لسكيئة بنت مرة المزنية وأولادها، ولبناتها وأولادهم إلى أبد الأبدين). ويؤكد هذا النقش على استقلالية المرأة النبطية فيما تملك، وأن لها نفس الحقوق في أي مكان تقيم فيه ضمن حدود المملكة النبطية حيث يتضح أن هذه السيدة من قرية مزينا القريبة من مدينة تيماء (أحمد عجلوني، ٢٠٠٣م، ١٤٧).

ويشير أيضاً إلى تفرد المرأة النبطية بحق الملكية نص أمة بنت كمولة الذي جاء فيه تثبيت حقها في المقبرة (الذيب، ١٩٩٨ م، ٢٢٥. JS، 35؛ Healey، 1993، 35؛ CIS، 225).

(١٠) كم كم او كل ي ب ت ب ر ت هـ ب ك ف را هـ و ف ق ي م ك ت ب ا هـ و (١١) وهـ ب ال هـ ي ب ر ع ب د ع ب ت (١٢) ع ب د. (هذه المقبرة التي أنشأت كمكم بنت وائلة بنت حرام وكلية ابنتها، لنفسيهما وذريتهما، بشهر ط ب ت، سنة تسع من حكم الحارثة ملك الأنباط محب شعبه، ويلعن ذو الشرى وعرشه واللات من عمند ومناة وقيسه من يبيع المقبرة هذه أو يشتريها أو يرهنها أو يمنحها أو يخرج منها جثة أو عظماً أو من يدفن بها غير كمكم وابنتها وذريتهما ومن لا يتبع ما هو مكتوب فليكن معه لذو الشرى وهبل ومن مناة خمس وحدات نقدية؟ وللكاهن غرامة ألف قطع حارثة، عدا من يبرز بيده وثيقة من يد كمكم أو كلية ابنتها تتعلق بالمقبرة هذه سارية المفعول، وهب الله بن عبد عبادة نحت هذه المقبرة).

ويتضح من خلال هذا النقش أن ملكية كمكم لهذه المقبرة، خولت لها ممارسة جميع صلاحيات الملكية للمقبرة، مثلها مثل الرجل عند تملكه للمقبرة، وفيما يخص تحديد من يُدفن معها، فسمحت لابنتها وأحفادها بالدفن معها، مما يؤكد مع غيره من النقوش، مدى قوة الترابط العائلي الذي تميز به المجتمع النبطي، ومن الصلاحيات التي مارسها أيضاً تحذير أي شخص من الاعتداء على المقبرة وإنزال اللعنات من قبل الآلهة النبطية (ذو الشرى^(٦)، واللات، ومناة، وقيس)، وفرض غرامة مالية تقدم للكاهن، كما حددت أوجه

(٦) يعتقد البعض أن ذو الشرى له عدة قرينات أشهرهن اللات، ويذكر آخرون أن اللات أم ذو الشرى وكانت بعض الآلهة تنسب إلى المكان الذي تعبد فيه مثل المكان "عمند" الذي تعبد فيه الآلهة اللات أنظر: عبد المنعم عبد الحليم، ٢٠٠١، ٣٤٠ وللمزيد: صلاح الدين حسنين، ١٩٩٣، ٢٥-٣٦

لصالح أي إنسان، والذي يغير ما هو أعلاه فليكن معه (فليحضر معه) قطع حارثية مئة ولسيدنا حارثة الملك (المبلغ نفسه...)

ويشير مضمون هذا النص إلى مشاركة وشوح وبناتها التياويات "نسبة إلى مدينة تيماء" (السعيد، ٢٠٠٤م، ١٨٣-١٨٥) في ملكية المقبرة، مما يوضح من جانب آخر أن أحقية تملك المرأة، لم تقتصر على نساء الحجر فقط، بل أنها سارية المفعول في جميع المدن النبطية. ومما تجدر ملاحظته في رواية النقش أن التحذير جاء بصفة إلزامية لكل من سيدفن في هذه المقبرة، كما أنها المرة الأولى في النقوش النبطية التي يرد ذكر التحذير من تغيير أو تعديل المكتوب في الوصية (في النقش)، وهذه هي المرة الأولى في النقوش النبطية التي على مقبرة تعود ملكيتها لامرأة.

ومما يؤكد على حقيقة مشاركة المرأة مع ذويها في التملك ذلك النقش الذي يخص هاجر بنت حبي وخالتها محمية بنت وائلة وأولادهم وذريتهم (نق ٥- الذييب، ١٩٩٨م، ٢٠٣؛ JS، 14؛ Healey، 1993، 14؛ CIS، 203)، ويرد فيه مانصه: دن هك ف رادي ل هـ ج ر و ب ر ت ح ب ي و م ح م ي ت ب ر ت (٢) و ا ي ل ت ل ن ف س هـ م و و ل د هـ م و ا خ ر هـ م و ن ف ل ح ل ق (٣) هـ ج ر و ي ن ا م ي ن خ م س و ح ل ق (٤) م ح م ي ت ش م ا ل (٤) ا م ي ن خ م س ب..... (هذه المقبرة، لهاجر بنت حبي ولحمية بنت وائلة لنفسيهما وأولادهما وذريتهما وحصه هاجر خمسة أذرع من جهة الجنوب وحصه محمية من جهة الشمال خمسة أذرع....)، ومما يثير الانتباه في رواية هذا النص هو الدقة في تحديد الملكية، وهذه الدقة في تحديد الملكية

٢- نصوص تتحدث عن حق تملك المرأة بالمشاركة تشير مضامين بعض النقوش النبطية إلى أن المرأة النبطية تقاسمت حق ملكيتها مع بعض أفراد عائلتها، فتارة تذكر النقوش مشاركتها مع بناتها أو صديقتها وتارة أخرى مع أخيها وتارة مع زوجها. ويدل على ذلك ما جاء في أحد نقوش الحجر النبطية (نق ٤- الذييب، ١٩٩٨م، ٢٠١؛ JS، 12؛ Healey، 1998، 12؛ CIS، 205) الذي يذكر أن سيدة نبطية اسمها وشوح بنت بجرة تملك مقبرة بالمشاركة مع أخريات: (١) د ن هـ ك ف ر ا د ي ع ب د و و ش و ح ب ر ت ب ج ر ت (٢) و ق ي ن و و ن س ك و ي هـ ب ن ت هـ ت ي م ن ي ت ا ل هـ م ك ل هـ (م) (٣) ك ل هـ و ل ع م ي ر ت و ع ص ر ا ن ت و ا ل ع ل ت ا خ و ت هـ م ب ن ت (٤) و ش (و) ح د ا و ل ج ر ي هـ م ك ل هـ ت (م) د ي ي ت ق ب ر و ن و ش و ح و ب ن ت هـ (٥) د ي ع ل ا و ج ر هـ م ك ل هـ ب ك ف ر ا د ن هـ ف ق ي م ع ل (٦) و ش و ح و ب ن ت هـ ا ل و ج ر هـ م ك ل هـ (م) ذ ك ر ا و ن ق ب ت ا د ي (٧) ل ا ي ز (ب) ن و ن و ل ا ي م ش ك ن و ن و ل ا ي غ ي ز و ن م ن و ج ر ا (٨) د ن هـ ل ا ن و س ك ل هـ و د (ي ي) ش ن ا م ن د ي ع ل د ي ع ل ا (٩) ف ا ي ت ي ع م هـ ل ت د هـ ي س ل ع ي ن م ا هـ ر ث ي (١٠) و ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ا و ت ب ي ر خ ا ي ر س ن ت..... (هذه المقبرة التي أنشأتها وشوح بنت بجرة، وقين ونسكوية بناتها التياويات لهن كلهن، ولعميرة وعصرانة والعل أخواتهن بنات وشوح هذه ولجواريهن كلهن اللاتي سيقبرن، وشوح وبناتها، المذكورات أعلاه وجواريهن كلهن بالمقبرة. وملزم على وشوح وبناتها هولاء وجواريهن كلهم ذكراً وأنثى، ألا يبيعوا ولا يرهنوا ولا يغيروا المقبرة هذه

ابنا عميرة بن وهب لنفسيهما وأولادهما وذريتهما وإن كان ضمن ذرية منعة هذا غاويًا، ويبيع أو يمنح حصته من المقبرة، فلتكن حصته موقوفة لذرية هاجر هذا. وإذا كان من ذرية هاجر غاويًا مثله فلتكن حصته موقوفة لذرية منعة هذا.)

ولم تخل النقوش النبطية من مشاركة الزوجة لزوجها في المقبرة، ففي أحد النقوش: (نق ٨- الذيب، ١٩٩٨، ٢٢٣؛ JS، 33، CI، 1993، 33؛ Healey، 215؛ S؛) يرد ما نصه: (دن هق ب ر) ادي ل ش ب و ب ر م ق ي م و و ل ن ب ي ق ت ب ر ت (٢) (م ل ي ا ن ث ت ه و ل ي) ل د ه م و ا ص د ق ه م و ك ل م ن ي ن ف ق ب ي د ه م ن (٣) ش ب و و ن ب ي ق ت ك ت ب ق ف..... (٤) ي ت ق ب ر ب ه و د ي ت ت ق ب ر ث ل م ب ن ت م ل ي و ي ح ف ض ش ب و (٥) ف ل ج ا ل ن ب (ي) ق ت ف ل ج ا ل خ ر ن ا ل ش ب و د ي ع ل ا ج و خ ا د ي..... (هذا القبر، لشب بن مقيم ولبنيقة بنت ملي زوجته ولأولادهما وورثتهما، وكل من يبرز من شب ونبنيقة صاحبة (وثيقة مكتوبة) يقبر بها، وتقبر به أيضاً تلام بنت ملي ويتخلى شب عن النصف لنبنيقة والنصف الآخر الأعلى لشب....) فالنص يشير إلى أن هذه المقبرة يمتلكها شب بن مقيم وزوجته نبنيقة بنت ملي، وأنها تؤول من بعدهما لأولادهما عن طريق الميراث، ويتضمن النقش ذكر امرأة أخرى لها الحق أن تدفن في المقبرة اسمها تلام بنت ملي، ودرجة قرابتها ليست معروفة، ويشير النقش إلى تقسيم المقبرة بين الرجل وزوجته بالتساوي مع احتفاظ الزوج بمكان دفن أكبر يبدو أنه كان للمرأة المذكورة التي ربما كانت إحدى قريبات الزوج.

تتضح بجلاء في هذا النقش وفي نقش آخر مكمل له على نفس المقبرة وهو (نق ٦- الذيب، ١٩٩٨، م ٢٠٢؛ JS، 13؛ CIS، 226؛ Healey، 1993، 13؛) الذي تحدد فيه هاجر من يحق لهم مشاركتها في ملكيتها: دن هج و خ ا د ي ع ب د ت ه ج ر و ل م س ل م و (٢) ا خ و ه و ل م ي ت خ ل ت ه د ي ل..... (هذا اللحد، الذي أنشأت هاجر لمسلم أخيها ولمحمية خالتها....) فالواضح أن المقبرة قسمت بين كل من هاجر وأخيها مسلم، وبين خالتها بالتساوي كل منهما لها خمسة أذرع، وهذا معناه أن الأخ لم يكن له نصيب في ملكية المقبرة أو أن النقش الداخلي كتب لاحقاً عن النقش الخارجي أو قبل الاتفاق على مشاركة مسلم الذي شارك أخته في الجزء الخاص بها. كما يظهر لنا أن الأخت تحملت مسؤولية إعالة أخيها، ونستنتج من هذا أن المقدرة المالية سواء تمتع بها الرجل أو المرأة هي التي تفرض مسؤولية إنشاء المقبرة لباقي أفراد العائلة.

كذلك تتحدث النقوش عن التملك بالمشاركة بين الأختين (نق ٧- الذيب، ١٩٩٨، م ٢٢٠؛ JS، 30؛ CIS، 200؛ Healey، 19٩٠؛) دن ه ف ر ا د ي ع ب د و م ن ع ت و ه ج ر و ب ن ي ع م ي ر ت (٢) ب ر و ه ب و ل ن ف س ه م و ي ل د ه م و ا خ ر ه م و د ه ن (٣) ي ه و ا ب ا خ ر م ن ع ت د ن ه غ و ي ه (ي ي ز ب) ن (ا و ي) م ش ك ن (٤) ح ل ق ه م ن ك ف ر ا ه و ف ا ي ت ي ح ل (ق ه ح ر ي ج ل) أ خ ز ا ي ت (ي) ح ل ق ه (٥) د ا و ه ن ي ه و ا ب ا خ ر ه ج ر و د ا (غ و ي) ه ك و ت ف ا ي ت (ي) ح ل ق ه (٦) (ح ر ي) ج ل ا خ ر م ن ع ت د ن ه..... (هذه المقبرة، التي أنشأ منعة وهاجر

سيقبر بالمقبرة هذه وبما أن هذه المقبرة لعبادة أبيها المكتوب أعلاه (الذي) كتب أثناء حياته أن مقبرة هينة هذه وعبد عبادة بن مليكة أخت معنة أم عبد عبادة أب هينة هذه أخ رسيم مالك الحاكم بن ربيب إل الحاكم وورثته بالحق الكامل (للمقبرة) هذه كوصية (من) عبد عبادة هذا وليس لأي إنسان حق في أن يبيع هذه المقبرة أو يؤجرها أو يكتب عليه كتابة).

ويوضح هذا النقش أن صاحبة المقبرة هينة قد تملك المقبرة عن طريق وصية من أبيها عبد عبادة الذي كتب لها عقد بذلك مما يشير إلى أن نظام التوريث عند الأنباط، يكون عبر وصية مكتوبة يحدد فيها المتوفي من له الحق في وراثته من ذريته وأقاربه (الفاسي، ١٩٩٣م، ص ١٥٥)، من جانب آخر يدل هذا النقش على أن المرأة النبطية لها الحق في نقل الميراث إلى من تشاء، كما هو الحال مع (هينة) هذه التي خصت نفسها بالملكية وورثته إلى أولادها وذريتهم.

٢- التملك عن طريق الإرث.

لقد شاعت في المجتمع النبطي ظاهرة الإرث، وعلى الرغم من أن البحث العلمي لم يقف على أدلة بينة تشرح كيفية توزيع الثروة على ذوي المتوفي وفق نظام محدد إلا أن ما نجده في متون بعض النقوش النبطية يشير بوضوح إلى نمط من أنماط توزيع التركة العينية والمادية بين أفراد أسرة، سواء كان المتوفي رجلاً أم امرأة وبالتالي فإن المرأة النبطية لم تحرم من الميراث شأنها شأن الرجل وهذا ما يؤكد نقش شب بن مقيم وزوجته ونبقة بنت ملي السابق الذكر (الذبيب، ١٩٩٨، ٢٢٣؛ Healey 215، CIS، 33، JS، 33، 1993؛) فكلمة ورثتها الواردة في النقش تدل على أن للمرأة النبطية حق في التوريث

وبعد أن تأكدنا من ملكية المرأة يبقى سؤال يطرح نفسه وهو:

كيف تملك المرأة في الحضارة النبطية؟

تشير مضامين النقوش إلى بعض الوسائل التي من خلالها استطاعت المرأة النبطية أن تملك، فجميع النقوش النبطية المعروفة - حتى الآن - تذكر أن المرأة تملك عبر طرق ثلاثة هي:

١- التملك عن طريق الوصية.

وقد جاء في عدد من نقوش الحجر النبطية ما يؤكد ذلك، حيث يذكر أحد النقوش ما نصه:

(نق ٩-الذبيب، ١٩٩٨م، ٢٢٤؛ 34، 1993، Healey)

(١) دن ه ك ف ر ا د ي ل ه ي ن ت
ب ر ت ع ب د ع (ب) د ت ل ن ف س ه (٢) و ي ل
د ه و ا خ ر ه و ل م ن د ي ي ن ف ق ب ي د ه م ن
ي د ه ي ن ت (٣) د ا ك ت ب ا و ت ق ف د ي ي ت
ق ب ر ب ك ف ر ا ه و د ي (٤) ك ف ر ا د ن ه و ه ل
ع ب د ع ب د ت ا ب و ه ع ل ا ك ت ي ب (٥) ع ل ي
و م و ه و ه و ه ي ك ت ب ب ق ب ت ه ي ن ت د
ا و ع ب د ع ب د ت ب ر (٦) م ل ي ك ت ا خ ت م ع
ن و ه ا م ع ب د ع ت ا ب ه ي ت ت د ا (٧) ا خ ر س
ي م ل ك و ا س ر ت ج ا ب ر ر ب ي ب ا ل ا س ر
ت ج ا (٨) و ا ص د ق ه ب (١) ث ر ا ب ك ف ر ا د
ن ه ب ص د ق ت ع ب د ع ب د (٩) ت (د ن ه) و
ل ا ي ه و ا ن و س ر ش ي د ي ز ب ن ك ف ر ا د
ن ه ا و ي (ج ر) (١٠) - ي ت ه ا و ي ت ا ل ف
ب ك ف ر ا د ن ه ك ت ب ك ل ه (هذه المقبرة،
تخص هينة بنت عبد عبادة لنفسها وأولادها وذريتها،
ولكل من يبرز بيده من يد هينة هذه وثيقة أو صكاً

204، CIS، 27؛ JS، 27؛ 1993، Healey) قيام شخص اسمه تيم الله بإهداء مقبرة لزوجته تفعل بها ما تشاء ولها حق التصرف فيها كيفما تشاء:

دن هـ ك ف ر ا د ي ع ب د ت ي م ا ل ه ي ب
ر (٢) ح م ل ت ل ن ف س ه و ي ه ب ك ف ر ا د
ن ه ل ا م هـ (٣) ا ن ث ت ه ب ر ت ج ل ه م و
م ن ز م ن س ط ر (٤) م و ه ب ت ا د ي ب ي د هـ
د ي ت ع ب د ب هـ ك ل د ي ت ص ب ا.... (هذه
المقبرة التي أنشأ تيم الله بن حملة لنفسه ويهب هذه المقبرة
لزوجته أمه بنت جلهم من وقت كتابة (هذه) الهبة التي
بيدها ولها الحق بأن تفعل بها ما تشاء).

وفي نقش آخر يذكر قيام الأبناء بتقديم هبات
لأمهاتهم، حيث يشير النقش (نق ١٢ - الذيب، ١٩٩٨
م، 206؛ JS، 17؛ CIS، 271؛ 1) ت ه ق ب ر ص ن
ع هـ ك ع ب و ب ر (٢) ح ر ث ت ل ر ق و ش ب
ر ت (٣) ع ب د م ن و ت و ا م هـ (هذا القبر صنعه
كعب بن حارثة لرقوش بنت عبد مناة أمه).

ومما يلفت الانتباه أن النقوش المعروفة حتى الآن
لم تشر إلى تملك المرأة عن طريق الشراء، ورغم ندرة
الدليل، إلا أن غيابه قد لا يكون سبباً لعدم وجود
ظاهرة التملك بالشراء، فقد وردت كلمة "الشراء"
مرة واحدة في نقوش المقابر الخاصة بالنساء، ففي نقش
كمكم (الذيب، ١٩٩٨ م، JS، 16؛ 1993، Healey، 205
16) وردت كلمة الشراء كأحد المحظورات التي قررتها
كمكم على مقبرتها، وهذه إشارة وإن كانت غير مباشرة
توحي بإمكانية قيام امرأة أخرى بشراء مقبرة كمكم.
إضافة إلى ذلك فطالما سُمح للمرأة بأحقية التملك،
فمن المرجح أن يلحق هذه الأحقية بعض المعاملات

وبالتالي فهي تحدد من يرث المقبرة وتضع الشروط
والقواعد المراد إتباعها على من يرث المقبرة.

ويؤكد نقش آخر لمقبرة السيدة هينة بنت وهب،
على استخدام المرأة النبطية حقها في التوريث (نق ١٠ -
الذيب، ١٩٩٨ م، ٢١٦؛ JS، 26؛ 1993، Healey، 223
CIS) دن هـ ك ف ر ا د ي ع ب د ت ه ي ن
ت ب ر ت و ه ب و ل ن ف س هـ (٢) و ل و ل د
هـ و ا خ ر هـ ع د ع ل م و ل ا ر ش ي ا ن و س د ي
ي ز (ب ن) (٣) ا و ي م ش ك ن ا و ي ك ت ب ا و
ج ر و ب ك ف ر ا د ن هـ و م (ن) (٤) د ي ي ع ب
د ك غ ي ر د ن هـ د ي ت و ب ح ل ق هـ ل ا ص
د ق هـ.... (هذه المقبرة التي عملت هينة بنت وهب
لنفسها ولأولادها وذريتها إلى الأبد، ولا يحق لأي
إنسان أن يبيع أو يمنح أو يكتب (عقد) إيجار للمقبرة
هذه ومن يفعل غير ذلك يفقد حصته من الإرث....)
وهذا النقش كغيره من النقوش يحتوي على تحذيرات
وعقوبات لمنع العبث والاعتداء على المقبرة، غير أنه ترد
في النص عقوبة تختلف عن غيرها من العقوبات التي
وردت في النصوص الأخرى، التي كانت حلول اللعنة
على من يعبث بمحتويات المقبرة ودفع غرامة مالية
للملك أو لمعبد الآلهة، أما في هذا النص فنجد المرأة
تستخدم حقها في التوريث وتجعله وسيلة من وسائل
العقوبة على المعتدي وهو حرمانه من حصته في الإرث،
مما يؤكد أن المرأة النبطية كان من حقها أن ترث وتورث
من تشاء.

٣- التملك عن طريق الإهداء والهبة

حيث تشير مجموعة من النقوش إلى ذلك، فقد
جاء في أحد النقوش (نق ١١ - الذيب، ١٩٩٨، ٢١٧؛

لقد بينت هذه الدراسة أن المرأة النبطية كانت تتمتع بحق التملك، وحرية التصرف فيه، كما هو الحال بين الرجل والمرأة على الأقل في حقوق الملكية، ويمكن إجمال نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

١- كان للمرأة النبطية ثروتها الخاصة مكتتها من تملك مقبرة عالية التكاليف، وإثبات هذه الملكية بالنقش الموجود في أعلى المقبرة.

٢- تنوع المقابر التي تمتلكها المرأة، فبعضها فردية لنساء فقط، وأخرى مشتركة بين عدة نساء، أو بين المرأة والرجل .

٣- ممارسة المرأة النبطية للصلاحيات التي تتبع ملكيتها لمقبرة:

أ) فأوصت بالدفن لأفراد من العائلة أو من خارجها، وتحديد أسماءهم وأنصبتهم ذكوراً وإناثاً.

ب) حذرت من الاعتداء على المقبرة وأصدرت عقوبة على من يقوم بالاعتداء.

ج) حددت أوجه الاعتداء على المقبرة فنصت على عدم دفن شخص آخر غير الموصي لهم بالدفن وعلى عدم انتقال ملكية المقبرة بالبيع أو الشراء أو التأجير أو تقديمه كهبة أو التنازل عنه لشخص أو إخراج الجثة أو العظام أو تغيير النقش.

٤- أوضح تحديد المرأة لمن يسمح له بالدفن في المقبرة مدى الترابط العائلي الذي ميز المجتمع النبطي، ومدى ارتباط المرأة بوالدها وابنتها وأحفادها.

٥- دلت النقوش على أن ملكية المرأة للمقابر استتبع

المألوفة في أي مجتمع متحضر، ومن ضمنها الشراء والبيع، خاصة وأن أهل الحجر مارسوا بيع وشراء المقابر (الفاسي، ١٩٩٣م، ١٤٩).

ويلاحظ من خلال ما أوردناه من شواهد للتدليل على حق المرأة في التملك في المجتمع النبطي أن جميع الأمثلة المقتبسة تقتصر على حق تملك المرأة للمقابر، ولكن ذلك لا يعني البتة أن المرأة النبطية انحصرت ملكيتها للأشياء العينة في المقابر فقط، فشواهد النقوش النبطية من مواقع النبطيين الأخرى تؤكد أن المرأة النبطية تملك أشياء أخرى، وعن ذلك يتحدث أحد النقوش النبطية المكتشف في منطقة الضمير شمال شرق دمشق (نق ١٣ - 161، 11، CIS) الذي يذكر: دن م س ج دأ دي ه د ي م ه ن ا و ب ر ح ر ي ج د ل و ب ر ت ب ج ر ت (هذا المحراب الديني الذي شيده هاني ابن محرر (معتوق) جدلو بنت باجرت)

فهذا النقش يقدم من جانب دليلاً واضحاً على أن هاني كان عبداً وأعتقته جدلو، ومن جانب آخر يشير إلى أن المرأة النبطية تملك العبيد ولها الحق في تحريرهم وقت ما تشاء. وتشير نقوش أخرى إلى اتساع دائرة حقوق ملكية المرأة النبطية، فقد تملك العقارات والمجوهرات وهذا ما هو معروف من خلال أرشيف "بابثا بنت سمعون بن مناحيم" (وثيقة ٣)، حيث عثر على صك يرجع تاريخه إلى عام ٩٥ ق.م. يخص سيدتان نبطيتان ويملكان منازل تجاوز بسايتين الملك، هما حبيبة بنت بلاح وتاحاي بنت عبد عبادة. (Yadin، 1963، 232)، كما تم العثور على قرط ذهبي اكتشف في عبدة. (Negev، A.، 1976، ٢٢٠؛ أحمد عجلوني، ٢٠٠٣م، ١٥٢) وهذه الأدلة جميعها تؤكد تنوع ممتلكات المرأة النبطية.

أو يمنحها أو يخرج منها جثة أو عظماً أو من يدفن بها غيركمم وابتتها وذريتها ومن لا يتبع ما هو مكتوب فليكن معه لذو الشرى وهبل ومن مائة خمس وحدات نقدية؟ وللكاهن غرامة ألف قطع حارثة، عدا من يبرز بيده وثيقة من يدكمم أو كلبية ابتتها تتعلق بالمقبرة هذه سارية المفعول، وهب الله بن عبد عباد نحت هذه المقبرة).

نقش ٣:

(هذه المقبرة لسكينة بنت مرة المزينة وأولادها، ولبناتها وأولادهم إلى أبد الآبدين).

نقش ٤:

(هذه المقبرة التي أنشأتها وشوح بنت بجرة، وقين ونسكوية بناتها التياويات هن كلهن، ولعميرة وعصرانة والعلات أخواتهن بنات وشوح هذه وجواريهن كلهن اللاتي سيقبرن، وشوح وبناتها، المذكورات أعلاه وجواريهن كلهن بالمقبرة. وملزم على وشوح وبناتها هؤلاء وجواريهن كلهم ذكراً وأنثى، ألا يبيعوا ولا يرهنوا ولا يغيروا المقبرة هذه لصالح أي إنسان، والذي يغير ما هو أعلاه فليكن معه (فليحضر معه) قطع حارثة مئة ولسيدنا حارثة الملك المبلغ نفسه...)

نقش ٥:

(هذه المقبرة، لهاجر بنت حبي ولحمية بنت وائلة لنفسيهما وأولادهما وذريتهما وحصة هاجر خمسة أذرع من جهة الجنوب وحصة محمية من جهة الشمال خمسة أذرع....)

القيام بعدة أنشطة مثل استئجار مهندس معماري، نحات، وكاتب وذلك لتصميم الواجهة ونحتها والنقش عليها مما يدل على أن لها حضوراً اجتماعياً واقتصادياً.

٦- جميع هذه النقوش لها صبغة قانونية، مما يؤكد أن للمرأة النبطية تمثيل قانوني أمام القضاء، أي أن هناك نوع ما من الاستقلالية القانونية وعدم تبعيتها لوصاية من الرجل، فالنقوش تتحدث عن أن لها القدرة على تحرير وثائق قانونية بدون الحاجة لوجود وصي أو وكيل، شأنها في ذلك شأن المرأة في مصر.

٧- اختلاف الطرق والوسائل التي من خلالها تملك المرأة النبطية.

٨- تنوع ممتلكات المرأة فلم تكن قاصرة على المقابر، بل شملت ثروات وأراض ومنازل وعبيد وحلي.

النصوص التي وردت في البحث باللغة العربية

نقش ١:

(هذا اللحد الذي عملت وشوح بنت بجرت لنفسها بداخل المقبرة (هي) لها ولا ابتتها).

نقش ٢:

(هذه المقبرة التي أنشأتكمم بنت وائلة بنت حرام وكلبية ابتتها، لنفسيهما وذريتهما، بشهر ط ب ت، سنة تسع من حكم الحارثة ملك الأنباط محب شعبه، ويلعن ذو الشرى وعرشه واللات من عمند ومائة وقيسه من يبيع المقبرة هذه أو يشتريها أو يرهنها

نقش ٦:

(هذا اللحد، الذي أنشأت هاجر لمسلم أخيها
ولحمية خالتها....)

نقش ٧:

(هذه المقبرة، التي أنشأ منعة وهاجر ابنا عميرة بن
وهب لنفسيهما وأولادهما وذريتهما وإن كان ضمن ذرية
منعة هذا غاويًا، ويبيع أو يمنح حصته من المقبرة، فلتكن
حصته موقوفة لذرية هاجر هذا. وإذا كان من ذرية هاجر
غاويًا مثله فلتكن حصته موقوفة لذرية منعة هذا....)

نقش ٨:

هذا القبر، لشب بن مقيم ولنبيقة بنت ملي زوجته
وأولادهما وورثتهما، وكل من يبرز من شب ونبيقة
صالحة (وثيقة مكتوبة) يقبر بها، وتقبر به أيضاً تلام
بنت ملي ويتخلى شب عن النصف لنبيقة والنصف
الآخر الأعلى لشب....)

نقش ٩:

(هذه المقبرة، تخص هينة بنت عبد عبادة لنفسها
وأولادها وذريتها، ولكل من يبرز بيده من يد هينة هذه
وثيقة أو صكاً سيقبر بالمقبرة هذه وبما أن هذه المقبرة لعبد
عبادة أبيها المكتوب سابقاً (الذي) كتب أثناء حياته أن
مقبرة هينة هذه وعبد عبادة بن مليكة أخت معنة أم عبد
عبادة أب هينة هذه أخ رسيم مالك الحاكم بن ربيب
إل الحاكم وورثته بالحق الكامل (للمقبرة) هذه كوصية
(من) عبد عبادة هذا وليس لأي إنسان حق في أن يبيع
هذه المقبرة أو يؤجرها أو يكتب عليه كتابة).

نقش ١٠:

(هذه المقبرة التي عملت هينة بنت وهب لنفسها
وأولادها وذريتها إلى الأبد، ولا يحق لأي إنسان أن
يبيع أو يمنح أو يكتب (عقد) إيجار للمقبرة هذه ومن
يفعل غير ذلك يفقد حصته من الإرث....)

نقش ١١:

(هذه المقبرة التي أنشأ تيم الله بن حملة لنفسه ويهب
هذه المقبرة لزوجته أمه بنت جلهم من وقت كتابة هذه
الهبة التي بيدها ولها الحق بأن تفعل بها ما تشاء).

نقش ١٢:

(هذا القبر صنعه كعب بن حارثة لرقوش بنت عبد
مناة أمه).

نقش ١٣:

(هذا المحراب الديني الذي شيده هاني ابن محرر
(معتوق) جدلو بنت باجرت)

الاختصارات

JEOL	Jaarbericht Ex Orient Lux	نق = نقش
RB	Revue Biblique	

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- القرآن الكريم.

- أيوب، بلاندين كير فيلا. النساء في اوجاريت، ترجمة:

نجيب غزاوي،، دمشق. الأبجدية للنشر، ١٩٩٠م.

- بيغوليفسكي، نينا فكتورفنا. العرب على حدود بيزنطة

إيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة

صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، (د.ن) ١٩٦٤م

- حسنين، صلاح الدين. "اللات في الجزيرة العربية"،

العصور، المجلد الثامن، الجزء الأول، ١٩٩٣م، ص ٢٥-

٣٦

- الحموري، خالد. مملكة العرب الأنباط - دراسة في

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، البتراء، بيت الأنباط

للتأليف والنشر. ٢٠٠٢م

- الذيب، سليمان بن عبد الرحمن. نقوش الحجر

النبطية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٨م.

- جبري، عبد المنعم. المرأة عبر التاريخ البشري -

الحضارات القديمة...، دمشق، دار صفحات، ٢٠٠٧م.

- رشيد، فوزي. الشرائع العراقية، بغداد، دار الحرية،

وزارة الإعلام، ١٩٧٣.

- سالم، فاطمة عبد الغني. "نظام ميراث وتوريث المرأة

في كل من مصر الفرعونية والعراق" دراسات في آثار

الوطن العربي ٢، كتاب الملتقى الرابع للأثريين العرب،

الندوة العلمية الثالثة، ٢٠٠١م، ص ٣٧٧-٣٩٦

- السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم. "نقوش ثمودية

من تيماء"، مجلة جامعة الملك سعود، م ١٧، الآداب

(١)، ٢٠٠٤م، ص ١٨٣-٢٢٥.

- سليم، أحمد أمين. حضارة العراق القديم، دار المعرفة

الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧م.

- صالح، عبد العزيز. "المرأة في النصوص والآثار

العربية" مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية،

الكويت، ١٩٨٥م، ص ٦٩.

- العابد، مفيد رائف. سورية في عصر السلوقيين، دار

شمال للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٣م.

- عبد المنعم، عبد الحليم. "دراسة مقارنة للتحذير

من الاعتداء على المقبرة في نقوش المقابر كل من مصر

الفرعونية والجزيرة العربية قبل الإسلام" دراسات في

آثار الوطن العربي ٢، كتاب الملتقى الرابع للأثريين

العرب، الندوة العلمية الثالثة، ٢٠٠١م، ص ٣٣١-

٣٤٧

- عجلوني، أحمد. حضارة الأنباط من خلال نقوشهم،

البتراء، بيت الأنباط للتأليف والنشر، ٢٠٠٣.

- علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج

٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

- الفاسي، هتون أجواد. الحياة الاجتماعية في شمال

غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس

قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض، ١٩٩٣م.

- مرعي، عيد. قوانين بلاد ما بين النهرين، دمشق،

النيابيع للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

- Healey, John f., The Nabataean tomb inscriptions of Madain Salih, Oxford University press, 1993.
- Meek, J., "The Middle Assyrian Laws", J. B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating To the Old Testament Princeton, New Jersey, 1969.
- Negev, A., "The Nabataean Necropolis at Egra" in RB, 83, 1977, p. 83.
- Starcky, J., Petra et La Nabatén, supplement au dictionnaire La Bible, 1966, Vol. VIII, p. 913
- Yadin, Y., The Nabataean Kingdom, Provincia Arabia, Petra and En-Geddi in
- The Documents, from Nahal Hever, JEOL, 1963, 17: 227-24
- مهران، محمد بيومي. تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠ م.
- الناصر، محمد حامد.. درويش، خولة. المرأة بين الجاهلية والإسلام، مكة المكرمة، دار الرسالة، ١٩٩٣ م.
- النعيم، نورة عبد الله. التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية حمير، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠ م.
- يوسف، سوزان السعيد. المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها - دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥ م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Cook, G.A., A Text-Book of North -semitic Inscriptions, Oxford: Oxford Press. 1903
- Corpus Inscriptionum semiticarum, Pars II, Tomus I. Inscriptiones Aramaicas Continens, Paris, 1889
- Euting, J., Sinaitische Inschriften, Berlin, 1891.
- Hammond, The Nabataens – Their History, culture and Archaeology, Gothenburg, 1973.
- Jaussen, A.J. & Savignac, R., Mission Archéologique en Arabie, Paris: La société des Fouilles Archéologiques, 1909, (2 vols)

Ownership Rights of the Nabatean woman

A study in the light of the Nabatean inscription at Al Hegr (madaen Saleh)

Fathiya Okab

Assistant Professor Department of Historg. King Abdulaziz Unversity

(Dates of receipt 6/1/2008; date of publication 15/3/2008)

ABSTRACT .This research is mainly about the Nabatean woman and her inborn right to possess physical objects based on the significances of the Nabatean inscriptions at Al Hegr graves (Madae Saleh) . The above mentionel inscription were divided in two principal in two principal groups. The first is texts deal with woman as the sole owner and the second is texts discuss woman as part of a group sharing the right of ownership. The significance of the these inscriptions has revealed the methods through which were will-based ownership ,or inheritance or as a gift or grant . This study came to the conclusion that the Nabatean woman earned the ownership right and what follows of financial transactions such as selling ,purchasing ,lease,and legal indepenence.

التخطيط السياحي للمناطق التراثية: العلا أنموذجاً

عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني

أستاذ مساعد، قسم إدارة موارد التراث والإرشاد السياحي، كلية السياحة والآثار
الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٢٠ / ١٢ / ١٤٢٨ هـ؛ وقبل للنشر في ١٢ / ١ / ١٤٢٩ هـ)

الكلمات المفتاحية: تخطيط، تنمية، سياحة، إدارة، موارد، تراث، ثقافي، طبيعي، خدمات.

ملخص البحث. جاء هذا البحث تمثيلاً مع إستراتيجية حكومة خادم الحرمين الشريفين الرامية إلى تشجيع وتنمية السياحة في جميع مناطق المملكة من أجل تنميتها وزيادة الدخل القومي للمجتمعات المحلية. تشكل منطقة الدراسة، العلا، بترائها في المجال التراثي، الثقافي والطبيعي، أنموذجاً فريداً للتخطيط السياحي الذي يتخذ من منهجية الموارد التراثية أساساً له. يعمل هذا التخطيط على تنمية وتأهيل مواردها للجذب السياحي، ومن ثم إقامة مشاريع التنمية السياحية المستدامة. وبهذا تصبح المنطقة الرائدة في هذا المجال والواجهة الرئيسة لسياحة التراث الثقافي والطبيعي بالمملكة، ومن ثم تشكل النموذج الأمثل للتوظيف والتطبيق في المناطق التراثية الأخرى بالمملكة.

اعتمدت هذه الدراسة بصورة أساسية على نتائج المسح الميداني الذي قام به الباحث لمنطقة الدراسة، العلا، خلال أربعة مواسم بين ١٤٢٤-١٤٢٨، بغرض تكوين قاعدة بيانات معلوماتية عن المقومات والإمكانات السياحية بها، من حيث الموارد التراثية الثقافية والطبيعية والخدمات السياحية. كما اعتمدت أيضاً على الملاحظات والمعلومات التي سجلت أثناء المسح الميداني، هذا بالإضافة إلى الرجوع إلى المصادر والمراجع التي كتبت عن المنطقة.

المقدمة

مع بروز السياحة الثقافية والطبيعة كأحد أهم قطاعات السوق السياحي، أصبح توظيف موارد المناطق التراثية (ثقافة وطبيعة) وتسويقها سياحياً تحدياً أمام المخططين والمختصين في مجال إدارة التراث وأصحاب القرار على السواء. فيما بين ما تحققه المشروعات السياحية في هذه المناطق من عائد اقتصادي على المستوى القومي والمحلي، وتوفير فرص العمل ورفع دخل السكان المحليين، إلا أنها قد يصاحب قيام هذه المشروعات بعض التأثيرات على الموارد التراثية (الثقافية والطبيعية). فبجانب مساهمة السياحة في الحفاظ على هذه الموارد من أجل جذب السياح، إلا أن استخدامها غير المرشد، وبالأخص في حالة، السياحة الكثيفة (Mass Tourism) التي قد يتسبب في تدهورها. أما على المستوى الاجتماعي فإن التفاعل الثقافي بين السائح والسكان المحليين قد يكون إيجابياً أو سلبياً حسب اختلال القيم الثقافية السائدة في المجتمعات الإنسانية. مما يجب تعزيز مفهوم السياحة المستدامة (Sustainable Tourism Approach)، الذي يضع في الحسبان الاستيعابية الطبيعية والاجتماعية (Natural and Social Capacity).

ومن هنا تبرز أهمية التخطيط السياحي للمناطق التراثية بإيجاد التوازن على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتراث الثقافي والطبيعي وفق أسس علمية تتخذ من سياسات وخطط وبرامج إدارة التراث منهاجاً لها في إدارة مناطق التراث (الثقافي والطبيعي) من جانب والمشروعات السياحية المقترحة تنفيذها من جانب آخر (قسمة ٢٠٠٥). وتأتي هذه الدراسة لتخرج من إطار التفاعل مع المناطق

التراثية ضمن مفهوم الحفاظ القاصر على الهيكل العمراني الثقافي والأماكن الطبيعية، إلى التعامل مع هذه المناطق كنسيج حي يتضمن مجتمعا يُعاش فيه واقتصاداً يقوم عليه، إلى جانب ما تحتويه هذه الموارد من قيم تاريخية وثقافية وطبيعية يجب الحفاظ عليها وحمايتها كأولوية لا تقبل المساس، وذلك لضمان استمراره واستخدام هذه المشروعات السياحية على المدى البعيد، وضمان تطبيق أسس التنمية وفق ما جاء في تعريف اللجنة الدولية للبيئة والتنمية (The World Commission on Environment and Development WCED) لها في عام ١٩٨٧ م، بأنها (التنمية التي تفي بالاحتياجات الأساسية للجيل الحاضر، دون المساومة على قدرة الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتها).

(١، ١) أهداف الدراسة العامة

تسعى هذه الدراسة من خلال عملية التخطيط السياحي لمنطقة العلاء التراثية إلى تهيئتها وتأهيلها لتصبح نموذجاً قابلاً للتطبيق يعمل على تحويل قيم الموارد التراثية، الثقافية والطبيعية، إلى قيمة اقتصادية على طريق صناعة السياحة وإقامة المشروعات السياحية بالمنطقة عبر آليات البحث العلمي في مجال إدارة التراث لتحقيق الأهداف التالية:

١ - بناء قاعدة بيانات معلوماتية (Data base)

تشمل كل مقومات السياحة بالمنطقة، التي تقوم على واقع المعلومات الأساسية المتوفرة في مجال التراث، الثروة السياحية (الموارد الثقافية والسياحية والطبيعية) والخدمات السياحية لخلق أنموذج يحتذى به تطبيقاً وتوظيفاً في بقية مناطق التراث الثقافي والطبيعي في المملكة العربية السعودية.

(١، ٢) مفهوم المنطقة التراثية

(The Concept of Heritage Area)

يرتبط مفهوم المنطقة التراثية ارتباطاً وثيقاً بالتراث الثقافي والطبيعي كأحد الموارد المهمة فيها، وبالمظاهر المادية أو الرمزية للتعبير الانثروبولوجي الثقافي والاجتماعي ماضياً وحاضراً.

ومفهوم التراث يشمل كلا من التراث الثقافي والطبيعي. فبينما يُعنى التراث الطبيعي بالمعالم الطبيعية، فإن التراث الثقافي يعنى، عامة، بالشواهد المرتبطة بموروث ثقافي مادي وغير مادي لمجتمع ما (المعاهدة العالمية للسياحة والثقافة، منظمة السياحة العالمية، ١٩٧٢). كما عُرِّفت منظمة المجلس الدولي للآثار ومواقع (ICOMOS) التراث بأنه: مفهوم واسع يتضمن البيئة الطبيعية والثقافية معاً، ويتضمن مجموعة المعالم التي لها قيمة إستثنائية من وجهه نظر التاريخ أو الفن أو العلم أو المجتمعات، التي تشمل مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة ذات القيمة، والمواقع من عمل الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة (ICOMOS، 1999).

ويتكون المنتج السياحي التراثي من مكونين أساسيين هما الموارد التراثية (ثقافية وطبيعية) والخدمات والتسهيلات المقدمة في الموقع. فالموارد التراثية من المواقع الأثرية والمباني التاريخية والموارد الطبيعية في مكانها بالموقع (In situ) يوفر منفعة كمنتج محوري تراثي ويجب أن يتم دعمه وتعزيزه وجعله أكثر جاذبية بتوفير منافع ترضي احتياجات الزوار من السياح عن طريق توفير الخدمات السياحية (7: Prentic 1993).

٢- إدخال نظام المعلومات السياحية (T. I. S)

(Tourism Information System) والنظم المتعددة التقنية في استغلال الموارد التراثية الثقافية والطبيعية وإدارة المنشآت السياحية في المنطقة لمواكبة التطور والتقدم العلمي في هذا المجال.

٣- إيجاد السياسات والخطط والآليات، التي تعمل على تطوير وتنمية الموارد السياحية بالمنطقة، لخلق تنمية مستدامة (Sustainable Development) وذلك بإدراج أنماط غير تقليدية من الاقتصاد عبر الاستثمار في الاقتصاد السياحي، وتبنى مفهوم السياحة كمدخل للتنمية في المناطق التراثية بناءً على المنافع الاقتصادية منها.

٤- توسيع القاعدة الاقتصادية في المنطقة بإنشاء صناعات أخرى ذات صلة بالسياحة (الحرف اليدوية والصناعات التقليدية)، وبالتالي تتحقق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المحلي.

٥- بناء قاعدة بيانات جغرافية (Geodata-base) في بيئة نظم المعلومات الجغرافية (GIS) تشمل المعلومات السياحية الطبيعية والبشرية في منطقة الدراسة، التي ستقوم على واقع البيانات المتوفرة من الخرائط والصور الفضائية والجوية، وبيانات تحديد الأماكن (GPS) إضافة إلى المعلومات الأساسية.

وقد عرفت منظمة السياحة العالمية (WTO) التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية على أنها: (التنمية التي تتطلع إلى الرضاء الأقصى للسائح، التي تدعم توفير المنافع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المحلي، مع الإدارة المثلى لجميع موارد المنطقة التراثية وحمايتها والحفاظ عليها) (WTO، 1992).

أما تعريف مفهوم المنطقة التراثية في هذا البحث (منطقة الدراسة) فهو يعني تلك المنطقة التي ترتبط بالتراث الثقافي (Cultural Heritage) المتمثل في (المواقع الأثرية، والمباني التاريخية، ومعالم التراث العمراني التقليدي، والمآثورات الشعبية «التراث الشعبي والحرف والصناعات التقليدية وغيرها»)، والتراث الطبيعي المتمثل في المواقع الطبوغرافية (الأودية، والجبال، والصحاري) ومواقع البيئة الصناعية (المزارع، والحدائق، والآبار والعيون). هذا بالإضافة إلى البنية التحتية للسياحة (Tourism Infrastructure) التي تتمثل في الخدمات السياحية (النقل، والاتصالات، وخدمات الإقامة والإعاشة والترفية)، وصولاً إلى تنمية سياحية مستدامة في المنطقة تعمل على التوازن بين رضاء السائح، والمنافع الاقتصادية والاجتماعية للسكان المحليين والحفاظ على القيم التاريخية والثقافية والعمرانية والطبيعية.

٢- التخطيط السياحي للمناطق التراثية في

منطقة الدراسة وآليات تنفيذه

(١، ٢) مقدمة

بدأ مفهوم التخطيط السياحي (Tourism Plan-) ning يتبلور بشكل واضح في نهاية ثلاثينيات القرن الماضي، بعد تطور حركة السفر الدولية بشكل كثيف، وتزايد عدد السياح، وتنوع وتعدد المناطق السياحية.

ومع زيادة الاهتمام بالسياحة والأنشطة السياحية ظهرت الحاجة الفعلية لضبط وتوجيه هذه النشاطات من أجل الحد من تأثيراتها الاجتماعية والبيئية والثقافية السالبة على موارد التراث وتحقيق أقصى درجات النفع الاقتصادي بما يتماشى وسياسة ومنهجية إدارة موارد التراث (Gisema، 2001: 43-44).

يهدف التخطيط السياحي بصورة أساسية إلى تحقيق التنسيق والتوازن بين مختلف القطاعات المرتبطة بالسياحة، وإيجاد التوازن المطلوب بين المنافع الاقتصادية والحفاظ على موارد التراث الثقافي والطبيعي، وعلى قيم المجتمعات الإنسانية (غنيم، وسعد ١٩٩٩: ٦٦-٦٧). فتنمية المناطق السياحية وتهيتها للطلب السياحي تتطلب تخطيطاً شاملاً وفق أسس ومنهجية علمية محددة، بحيث يحقق هذا التخطيط التوازن بين الطلب السياحي المتوقع والعرض السياحي والحفاظ على مناطق الموارد التراثية.

يعرّف (Getz) التخطيط السياحي بأنه: عملية تعتمد على البحث والتقييم الذي يتطلع إلى تعظيم المساهمة الاقتصادية للسياحة لرفاهية الإنسان والنوعية البيئية (Getz 1997: 23). أما (Murphy) فيرى أن التخطيط يهتم بمناطق السياحة الثقافية من أجل الحصول على المنافع الاقتصادية والاجتماعية والبيئية من عملية التنمية (Murphy 1985: 17).

إن التعريف المحوري لمفهوم التخطيط السياحي في أدبيات هذا البحث هو التخطيط السياحي الذي يعتمد على وضع خطة للتنمية السياحية في منطقة الدراسة في مستوى تخطيطي معين، لتحقيق أهداف محددة للتنمية في المنطقة، بالاستغلال الأمثل للموارد التراثية الثقافية والطبيعية

من خلال الشكل أعلاه يمكن القول بأن التخطيط يعدّ في ذاته أداة للتغير الاقتصادي والاجتماعي المنشود في المنطقة.

(٢, ٢) أهداف التخطيط السياحي للمناطق

التراثية في منطقة الدراسة

يمكن حصر أهداف التخطيط السياحي للمناطق التراثية في منطقة الدراسة في الآتي:

١- الاستغلال الأمثل لموارد التراث الثقافية والطبيعية في المنطقة بتحقيق أقصى عائد اقتصادي ممكن من المشروعات السياحية المقترحة.

٢- توفير فرص العمل لسكان المنطقة.

٣- الاستدامة العمرانية وذلك من خلال حماية وإحياء التراث العمراني والحفاظ على خصائصه المميزة.

٤- حماية الهيكل العمراني للمنطقة التراثية من خلال تناسب حجم الأعمال السياحية مع طاقة استيعاب المنطقة.

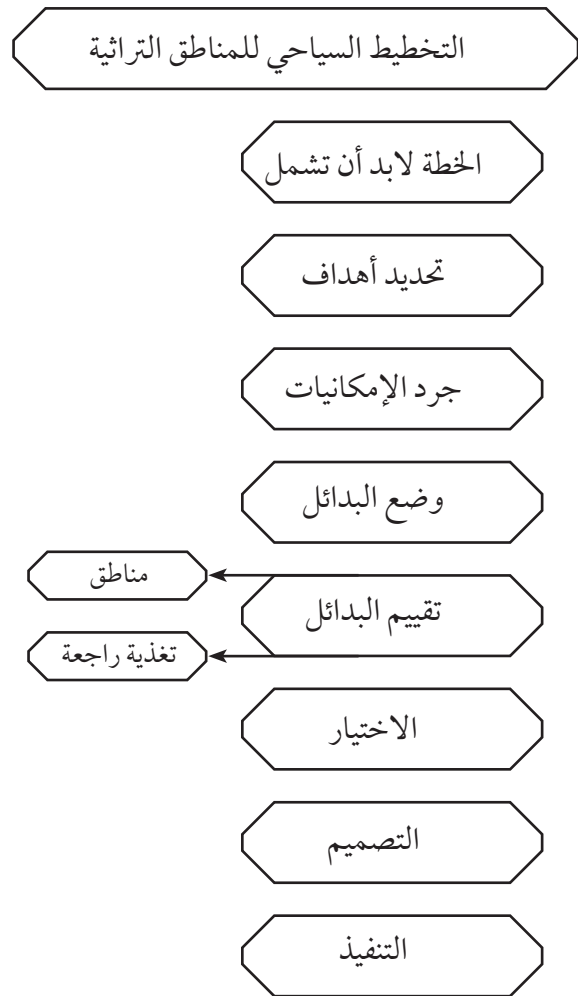
٥- تحسين كفاءة البنية التحتية للمناطق التراثية بتشيد الفنادق وتطوير شبكة الاتصالات وتشيد المطارات الإقليمية.

٦- زيادة الاهتمام بشبكة الطرق وتحسين بنائها، حيث تؤدي مشروعات التنمية السياحية إلى زيادة الاهتمام بها في سبيل توفير تجربة سياحية جيدة للسائح، مما يعمل على حل مشكلات الطرق التي غالباً ما تعاني منها المناطق التراثية.

٧- إشراك المواطن في عملية التنمية السياحية.

٨- حماية الثقافات المحلية القديمة والمعاصرة والحفاظ على خصائصها وأصالتها.

المتاحة لأقصى درجات المنفعة الاقتصادية للمجتمع المحلي. ومتابعة وتوجيه وضبط هذا الاستغلال لإبقائه ضمن دائرة المرغوب والمنشود في ظل الإمكانيات المتاحة والعمل على منع حدوث أي نتائج أو آثار سلبية ناجمة عن هذا الاستغلال خلال مراحل التنمية السياحية المختلفة مع تحقيق التوازن بين العرض (الموارد) والطلب (رغبات السائح)، ومراعاة أحقية الأجيال القادمة في الانتفاع والاستمتاع بهذه الموارد، كما هو مبين في الشكل (١).



الشكل رقم (١). يوضح خطة التخطيط السياحي لاستغلال الموارد التراثية بمنطقة العلا.

(٢, ٣) آلية التخطيط السياحي للمنطقة التراثية

في منطقة الدراسة

أن عملية تخطيط المناطق التراثية على أسس علمية تأخذ دوماً في الاعتبار الحفاظ على الموارد التراثية الطبيعية والثقافية كهدف أساسي، بالإضافة إلى مراعاة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية. فنجاح التخطيط السياحي لمنطقة العلاء التراثية يستوجب إتباع آلية فعالة تشمل على:

١- وضع خطة إدارة مواقع التراث الثقافي والطبيعي في المنطقة (Site Management Program)، التي تتضمن إجراء مسح شامل ومتكامل لمعرفة الواقع المطلوب إحداث التغيير فيه، والقيام بأعمال الحماية والحفاظ على موارد التراث، ومراقبة المناطق التراثية والتحكم بها من أجل إبقاء المشروع السياحي ضمن حدود الاستدامة، كما تتضمن الخطة أيضاً إنشاء إدارة تدفق الزوار.

٢- تبني سياسة تسويق المكان التراثي (Place Mar- keting) كما هو مقترح لموقع التراث العمراني بالبلدة القديمة، وذلك بإعادة توظيف المباني التراثية «كمتحف مفتوح» وإعادة بناء الصورة الذهنية والبصرية التي كانت مرتبطة بتلك المناطق.

٣- مراقبة المتغيرات بعد تنفيذ المشروعات السياحية عن طريق المتابعة (Monitoring) وعملية التقييم المستمر (Evaluation) للمشروعات السياحية في المناطق التراثية.

٤- إشراك المجتمع المحلي في عملية التخطيط السياحي والعمل على الأخذ برؤيته عند الشروع في تنفيذ خطط المشروعات السياحية المقترحة.

٣- الموارد الثقافية والطبيعية في منطقة

العلاء (١, ٣) الموقع الجغرافي

تقع العلاء في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية على درجة الطول ٥٨° ٥٥' ٣٧، ودرجة العرض ٢٩° ٣٦' ٢٦، وترتبط إدارياً بالمدينة المنورة. وتبعد عن المدينة والمنورة بـ (٤٠٠ كيلومتر) عبر الخط القديم، وبـ (٣٢٠ كيلومتر) عبر الخط الجديد المباشر. وتبعد عن تبوك على خط سكة حديد الحجاز بنحو ٢٥٠ كيلاً إلى الجنوب، وتبعد عن حائل ٤١٦ كيلومتراً تقريباً في اتجاه الغرب، وتبعد عن الوجه، الميناء البحري بـ (٢٤٠ كيلومتر) إلى الشرق، وتبعد عن تيماء بنحو ١٦٠ كيلاً باتجاه الجنوب الغربي (لوحة رقم ١، ٢) (علي ١٤١٤هـ: ٩).

تقع العلاء وسط وادي يعرف بوادي القرى، المشهور تاريخياً، الذي يصب في وادي الجزل ثم يصب في وادي الحمض، الذي بدوره يصب في البحر الأحمر (الأنصاري وأبو الحسن ١٤٢٣هـ: ١٢)، وتمتد طولاً من الشمال إلى الجنوب، وتحيط بها الجبال من الشرق والغرب، وقد أثرت عوامل التعرية في هذه الجبال حتى اتخذت أشكالاً طبيعية جذابة، تصلح لأن تكون ضمن الموارد الطبيعة السياحية في المملكة العربية السعودية.

(٢, ٣) وصف تضاريس منطقة العلاء

تضاريس منطقة العلاء، بشكل عام، جبلية، وهي امتداد لجبال الحجاز في الجنوب (لوحة ٣). ويتكون إقليم الحجاز من الناحية الجيولوجية من الصخور البلورية والصخور المتحولة والتكوينات الرسوبية، وكذلك التكوينات الحديثة المتحدة مع

(٥، ٣) وصف الموارد الثقافية والطبيعية**بمنطقة الدراسة**

إن حصر ومعرفة الموارد التراثية الثقافية والطبيعية والخدمات السياحية، بمنطقة الدراسة، اعتمد بصورة رئيسة وأساسية على المسح الميداني الذي قام به الباحث للمنطقة خلال أربعة مواسم بين ١٤٢٤ - ١٤٢٨ هـ بهدف تكوين قاعدة بيانات معلوماتية عن الثروة السياحية فيها (الثقافية والطبيعية)، وحصر الخدمات السياحية. كما اعتمدت الدراسة أيضاً على المعلومات والملاحظات التي سجلت أثناء المسح الميداني من الرواة (كبار السن من أمثال العم عودة البريكيت). بغرض جمع المعلومات من كبار السن وتسجيل ذكرياتهم وجعلها مصدراً للتعريف بالمنطقة (تراث شفاهي)، هذا بالإضافة للرجوع إلى المصادر والمراجع التي كتبت عن المنطقة.

يتضمن المنتج السياحي في منطقة الدراسة نوعين رئيسيين من عناصر الجذب السياحي، هما التراث الثقافي والتراث الطبيعي، اللذان يمثلان الثروة السياحية بالمنطقة، بالإضافة إلى الخدمات السياحية (البنية التحتية للسياحة).

(١، ٥، ٣) التراث الثقافي

تشكل العلا مخزوناً تراثياً هاماً ومتميزاً على مستوى مناطق المملكة العربية السعودية، لما يوجد بها من آثار ونسيج تراثي عمراني يميز يعكس الأهمية التاريخية، والعمرانية والثقافية لهذه المنطقة. حيث يوجد بها العديد من المواقع الأثرية والمباني التاريخية ومعالم البيئة الثقافية والتراث الشعبي والحرف والصناعات التقليدية، بالإضافة إلى استمرارية الشكل العام للنسيج العمراني للمنطقة.

تكوينات البحر الأحمر، بالإضافة إلى تكوينات جيولوجية حديثة. إلى جانب ذلك هناك الكثير من الحرات، أشهرها حرة العويرض، التي تقع غرب العلا، وترتفع عن سطح البحر ١٠٠٠ م، التي تبلغ مساحتها نحو ٥٠٠٠ كيلو متر مربع، وهي تمتد بطول ١٤٠ كم وعرض ٤٠ كم تقريباً (الفقيه ١٤٢٧ هـ: ٣٠). وتتميز الجبال، وخاصة جبال الحجر الرملية، بكثرة الأخاديد والشقوق.

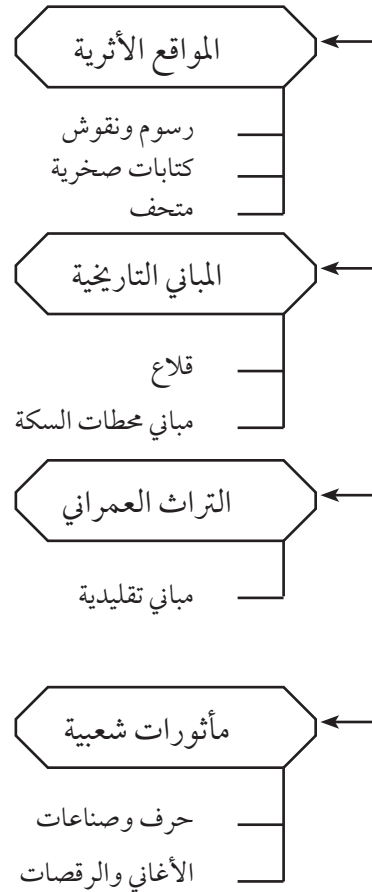
(٣، ٣) المناخ

يميل مناخ العلا الجاف إلى الحرارة صيفاً وإلى البرودة شتاءً، ويبلغ معدل الأمطار ٢٥٤ ملم سنوياً، ويبلغ ارتفاع العلا عن سطح البحر ما بين ٧٦٥ إلى ٨٢٥ متر (العنزي ١٤١٦ هـ: ٢٤١).

(٤، ٣) النشاط الاقتصادي

أما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي بمنطقة الدراسة، فتاريخياً منطقة العلا في ظل تاريخها الثقافي والحضاري كانت تمثل مركزاً تجارياً هاماً يربط جنوب الجزيرة العربية بمصر والشام والعراق، وفي فترة العهد الإسلامي شكلت موقعاً مميزاً يقدم خدماته للحجاج. أما حالياً فقد صارت تمثل مركزاً زراعياً هاماً مشهوراً ببساتين النخيل وإنتاج الحبوب مع محدودية النشاط الاقتصادي (شوكان ١٤٢٤ هـ: ٢). ويمثل قطاع الخدمات أهم مصادر الدخل للسكان المحليين في الوقت الحالي.

الشكل (رقم ٢) يوضح الهيكل العام للتراث الثقافي بالمنطقة مصحوباً بدراسة موجزة لأهم المعالم الثقافية التي تم رصدها كعامل جذب سياحي.



الشكل رقم (٢). يوضح معالم التراث الثقافي بالمنطقة

(١, ٥, ٣) المواقع الأثرية

تتميز المنطقة بوجود الكثير من المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما قبل الإسلام وللعهد الإسلامي على السواء. وفيما يلي رصد لأهم المواقع الأثرية الجاذبة للمنطقة.

موقع دادان (الخريبة)

شمال: ٣٩' ٢٦'

شرق: ٥٤' ٣٧'

موقع أثري على بعد ٣ أكيا ل شمال شرق العلاء القديمة. ويعدّ موقع الخريبة (وهو الاسم الذي يطلق على الموقع الآن) عاصمة مملكة ديدان ولحيان (الأنصاري، أبو الحسن ١٤٢٣ هـ: ٢٣). ومن أهم معالمها الأثرية: مقابر الأسود (لوحة رقم ٤)، الحوض الذي يتوسط الموقع (يطلق عليه البعض محلب الناقة، وكان أهل المنطقة يسمونه بالحلوية) وهو عبارة عن حوض منحوت من الصخر يبلغ قطره ٣,٧٥ متراً وعمقه ١,٥٠ متراً، وعليه كتابات صخرية (لوحة رقم ٥). تبين من خلال الحفريات التي يقوم بها قسم الآثار، في كلية السياحة والآثار بجامعة الملك سعود، وجود معبد لحيا ن بجانب الحوض، حيث يفترض للمتعبّد قبل دخوله المعبد، أي يغتسل ويتطهر في هذا الحوض. كما كشفت الحفريات عن الكثير من التماثيل والكتابات الصخرية.

جبل عكمة

شمال: ٤١' ٢٦'

شرق: ٥٤' ٣٧'

يقع شمال العلاء ويحتوي على الكثير من الكتابات الصخرية التي تعود إلى العصر اللحياني (لوحة رقم ٦). ويعدّ هذا الموقع متحف مفتوح تتحدث عن جزء من تاريخ مملكة لحيان وحضارتها، خاصة ما يتعلق بالأمور الدينية. كما يكثر في الموقع وجود رسوم لأشكال آدمية وحيوانية ورسوم لبعض الآلات الموسيقية (السسمية) (الأنصاري وأبو الحسن ١٤٢٣: ٢٣-٢٤).

الحجر (مدائن صالح)

شمال: ٤٧ ٥٢٦

شرق: ٥٧ ٥٣٧

يقع على بعد ٢٢ كيلومتراً إلى الشمال من العلا، وهو العاصمة الثانية لمملكة الأنباط. ويعد الحجر (مدائن صالح) كما يطلق عليه الآن من أهم المواقع الأثرية بالملكة العربية السعودية، حيث يشكل منظراً طبيعياً صحراوياً جذاباً. يحتوي هذا الموقع على مجموعة منفردة من الصخور والتتوءات والجبال (تحتوي على ١٤٠ مقبرة محفورة على واجهات صخور رملية من أشهرها قصر الفريد (لوحة رقم ٧) وقصر البنت (لوحة رقم ٨)، كما يشتمل أيضاً على الديوان (لوحة رقم ٩)، وقنوات مائية محفورة على الصخر ومباني سكنية.

قُرح (المائيات)

شمال: ٣٠ ٥٢٦

شرق: ٠٣ ٥٣٨

تقع على بعد حوالي ١٨ كيلومتراً إلى الجنوبي الغربي من العلا، باتجاه المدينة المنورة، بالقرب من المغيرة (تعرف حالياً بالمائيات)، ويعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، واشتهرت في العصر الإسلامي، ويعتقد أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم صلى بها وهو في طريقه إلى تبوك. وكشفت الحفائر التي قامت بها وكالة الآثار (إبراهيم وآخرون ١٤٠٥هـ: ١١٣-١٢٣، إبراهيم وآخرون ١٤٠٦هـ: ٧١-٧٨)، وتلك التي تقوم بها جامعة الملك سعود في قُرح «المائيات» عن القنوات المائية التي كانت بها وأن المدينة كانت محاطة بسور متعرج وحوله خندق وحصن منيع في أعلى الجبل (العمير ١٤٢٧هـ: ٢١٧-٢٥٢) (لوحة رقم ١٠). وتوجد مصانع الفخار والآجر في جنوب المدينة.

بلدة العلا القديمة

شمال: ٣٧ ٥٢٦

شرق: ٥٥ ٥٣٧

تعدّ البلدة القديمة في العلا أنموذجاً حياً للمستوطنات الإسلامية التي مازالت باقية حتى اليوم، كما يعتقد أنها امتداد لدادان القريبة منها حيث إن كثيراً من العيون والقنوات المائية الموجودة حالياً تعود إلى فترات مغلّة في القدم. حيث تم تشييد العديد منها من أحجار موقع الخريبة (لوحة ١١) (الزهراني ١٤٢٩). ولقد ازدهر وادي القرى، بشكل عام، في القرون الإسلامية بسبب موقعه على طريق الحج الشامي (ابن رسته ١٩٨٢: ١٨٣، الاصطخري ١٩٢٧: ١٩-٢٠)، وكذلك المصري (الإدرسي ١٤٢٢: ١/ ٣٤٥)، وأيضاً مع ازدهار الحركة التجارية بين الأقطار الإسلامية.

ومن حيث التخطيط العمراني، تمثل البلدة القديمة في العلا أنموذجاً فريداً للمدينة الإسلامية القديمة (لوحة ١٣، ١٢، ١٤) (كمدينة تونس القديمة وطليطلة في المغرب) التي يجب الحفاظ على أصالة طابع نمطها المعماري.

قامت هذه البلدة حول قلعة على رأس هضبة صغيرة يقال لها أم ناصر (شويكان ١٤٢٤: ٣٤). وتعرف القلعة باسم قلعة العلا (نصيف ١٤١٦: ٤٦)، وقيل أنها تنسب لموسى بن نصير (الأنصاري وأبو الحسن ١٤٢٣هـ: ٢٤). وقد أعاد بناءها معز الدين الفاطمي، سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، وجدها السلطان العثماني سليمان القانوني (جلبي ١٤٢٠: ٩٩-١٠٠، ١٤٤) (لوحة ١٥).

ويبلغ عدد بيوتها في حملة التعداد السكاني لعام ١٣٩٥هـ حوالي (٨٧٠) بيتاً (الحجيري ١٤٢٢: ٨).

(٣, ٥, ١, ٢) المباني التاريخية

تتمثل المباني التاريخية في سكة حديد الحجاز والقلاع الإسلامية التي توجد في المنطقة وهي:
سكة حديد الحجاز (مباني محطات السكة حديد)

شمال: ٤٨ ٥٢٦

شرق: ٥٦ ٥٣٧

تم إنشاؤها في مطلع القرن العشرين، في عام ١٩٠٧م، بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني ليربط بين دمشق والمدينة المنورة وذلك بغرض تسهيل حركة الحجاج (العنزي ١٤١٦: ص ٢٨٧). وأنشئت محطات على طول الطريق منها (في المملكة العربية السعودية) تبوك والحجر والمدينة المنورة. وتتكون المحطة من ١٦ مبنى لاستراحات المسافرين ومساكن للموظفين وقلاع حراسة ودورات مياه مستقلة، بالإضافة إلى مخازن للعفش وورشة إصلاح محركات القطارات وخزان للمياه (لوحة رقم ١٦). وقد صاحب إنشاء هذا الخط بناء العديد من المحطات الفرعية مثل محطة العذيب، بالقرب من الحجر (مدائن صالح)، ومحطة البديع، بالقرب من قرح (المائيات) (لوحات رقم ١٧، ١٨)، بالإضافة إلى محطة العلا التي بنيت على الطراز الإسلامي وقد استخدمت مقراً للأمانة في عهد الأمير أحمد السديري (لوحة رقم ١٩).

القلاع

يوجد بالمنطقة العديد من القلاع خاصة تلك التي تعود إلى الفترة الإسلامية ومن أشهرها قلعة جبل أم ناصر في العلا القديمة (لوحة رقم ١٥) والقلعة الإسلامية بموقع مدائن صالح و(لوحة رقم ٢٠) والتي بنيت بغرض توفير الراحة للحجاج في رحلة الحج ذهاباً وإياباً وكذلك لحماية طريق الحج.

(٣, ٥, ١, ٣) التراث العمراني التقليدي

تجسد البلدة القديمة أنموذجاً فريداً للتراث العمراني الإسلامي ما زال شاخصاً في كثير من مكوناته العمرانية ومبانيه التراثية، (لوحة رقم ١٢، ١٣، ١٤). وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠٠هـ) هُجرت المنطقة. وبما أن المنطقة تتضمن نسيجاً حياً من التراث العمراني فإن ذلك يجعلها في دائرة الضوء عند تسجيل المواقع في قائمة التراث الثقافي العالمي لما تمتاز به من أصالة وخصائص عمرانية وثقافية وتاريخية تجذب السياح، ما يستوجب صيانتها والحفاظ على خصائصها المميزة (الزهراني ١٤٢٩، ١٤٢٨) (وقد شاهد الباحث، خلال زيارتهما للمنطقة، العمل الجاد الذي تقوم به الهيئة العليا للسياحة والآثار للحفاظ على هذا النموذج الفريد من ترميم لمبانيها ونسيجها العمراني).

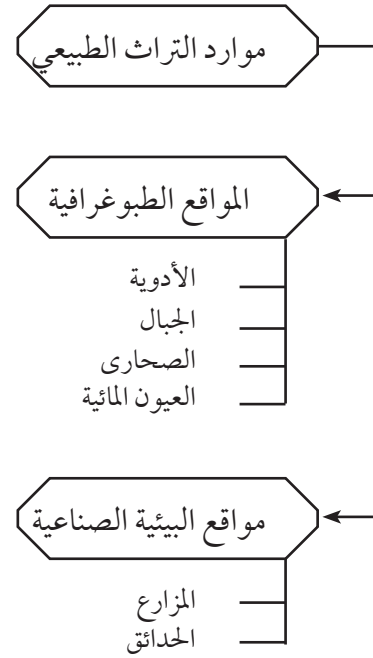
(٣, ٥, ١, ٤) التراث الشعبي

منطقة العلا غنية بثروة ضخمة تتضمن التراث المادي (الحرف والصناعات التقليدية): الصناعات الخشبية، وصناعة الغزل والنسيج والخص، وصناعة الجلود، وصناعة الطعام... إلخ. هذا بالإضافة إلى التراث الشفاهي المتمثل في الشعر الشعبي والحكايات والرقصات وفنون الأداء الشعبي.

إن التنمية السياحية في المنطقة ستوفر فرصة نادرة لتطوير نشاطات التراث الشعبي والاحتفالية والفعاليات الثقافية من خلال توظيف الشوارع والمساحات المفتوحة، وإعادة استخدام المباني في البلدة القديمة بالعلا، كما هو مخطط له في المشروع السياحي المقترح في هذه الدراسة (المتحف المفتوح في البلدة القديمة).

(٣, ٥, ٢) التراث الطبيعي

لقد حبا الله منطقة العلا - بموارد طبيعية ساحرة، فهي تتميز بتراث طبيعي غاية في الجاذبية يمكن تصنيفه إلى قسمين رئيسيين هما طبوغرافية الموقع، ومواقع البيئة الصناعية كما هو موضح في الشكل رقم (٣).



الشكل رقم (٣). يوضح موارد التراث الطبيعي في العلا

الفيل (انظر اللوحة رقم ٢١)، وهو تكوين جيولوجي مدهش يقع شرق الحجر (مدائن صالح) (شمال: ٤٧°٢٦، شرق: ٣٨°٣٠). كذلك حرة العويرض، التي تشكل محمية جبلية طبيعية، تمثل أعلى ارتفاع في المنطقة حيث يبلغ ارتفاعها ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر (شمال: ٢٦°٣٨، شرق: ٣٧°٥٣)، التي يمكن استثمارها في إقامة مشروع منتزه تراثي وطني على قممتها، حيث يوفر فرصة الاستمتاع بالمناظر الطبيعية الخلابة في المنطقة، من خلال الإطلالة من فوق حرة العويرض.

أما الأودية فأشهرها وأجملها وادي شرعان الذي يقع على بعد ٦٠ كلم شمال العلا، هذا بالإضافة إلى التلال المنعزلة التي تغطي أجزاء واسعة من المنطقة والصحراء والكثبان الرملية، التي تشكل أنموذجاً رائعاً لسياحة الصحراء التي تجذب العديد من السياح.

(٣, ٥, ٢, ٢) مواقع البيئة الصناعية

أما موارد مواقع البيئة الصناعية، فتتمثل في المزارع والحدائق والآبار. فالمنطقة تحتوي على عدد كبير من مزارع النخيل، التي تضيفي جاذبية خاصة للتراث الطبيعي الذي يمكن توظيفه واستثماره واستغلاله سياحياً في المشاريع المقترحة في المنطقة، بإقامة نشاطات ترفيهية مثل سياحة الصحراء، والجبال، والوديان، والحدائق، والمزارع كجاذب للتراث الطبيعي.

من خلال المسح الميداني لموارد التراث الثقافي والطبيعي في المنطقة نلاحظ مدى ثرائها بهذه الموارد، كما أنها تتعرض للتدمير والتدهور بفعل عوامل أنشطة بشرية وطبيعية متعددة، كما هو ماثل في الدمار الذي تعرض له موقع مدائن صالح من خلال الكتابات والنقوش

(٣, ٥, ٢, ١) المواقع الطبوغرافية ٥٣٧

تشكل الجبال والكتل الصخرية في المنطقة منظراً طبيعياً رائعاً يعدّ عامل جذب سياحي مميز، يتمثل بصورة عامة في السلاسل الجبلية التي تحيط بالمنطقة مكونة محمية طبيعة، وخير مثال لروعة هذه الجبال جبل

عملت هذه الدراسة، ومن خلال المسح الميداني الذي قام به الباحث في المنطقة، إلى رصد ما هو متوفر من الخدمات السياحية والتوصية بالعمل على إكمال النقص فيها. فالخدمات السياحية هي المحرك الحقيقي لتحويل السياحة إلى اقتصاد، إذ أن المعروض والمنتج السياحي (تراث ثقافي وطبيعي) من غيرها لا يعدو إلا أن يكون مواد خام لابد من تحويلها واستغلالها للاستغلال الأمثل بتكامل مقومات السياحة من موارد طبيعية وثقافية وخدمات سياحية. فالخدمات السياحية المتوفرة في منطقة الدراسة تشمل الآتي:

(١, ٤) خدمات النقل

يعدّ النقل ووسائله المختلفة من أهم الخدمات المرتبطة بالوصول إلى المواقع السياحية، لذا لابد من تأهيله وتطويره، فقد بدأت الآن التجهيزات الأولى لتشديد مطار مدائن صالح - العلاء الإقليمي (انظر اللوحة ٢٢)، الذي يقع على بعد ٢٤ كيلو متراً جنوب غرب العلاء، قريباً من قرح «المائيات»، على طريق المدينة المنورة، ومقابل مدخل المغيراء، مما سينعكس إيجابياً على تنمية السياحة في المنطقة.

أما تعبيد الطرق فيعدّ وسيلة مساعدة لحركة النقل وتطورها، والمنطقة ترتبط بشبكة طرق معبدة تصل إلى كل مواقع التراث بها. كما تتوفر بها مجموعة من خدمات النقل تشمل محطات التزود بالوقود، وورش إصلاح السيارات.

(٢, ٤) خدمات الاتصالات

وسائل الاتصال لها دور فعال في إنجاح عملية السياحة لما تحمله من أهمية بارزة في هذا المجال. وتتوفر في المنطقة شبكة جيدة للهواتف المحمولة والثابتة، وخدمة

الجدارية، وكذلك تعرض مباني التراث العمراني بالبلدة القديمة في العلاء إلى الدمار والتدهور. على الرغم من أن بعض المباني التاريخية (محطات السكة الحديد والقلاع) ما زالت تحتفظ بهيكلها العمراني بصورة جيدة إلا أن بعضها تعرض للدمار (محطة البديع والعذيب)، فهي تحتاج لصيانة وترميم وتأهيل. كذلك تعاني مواقع التراث الثقافي من عدم توفر مرشدين سياحيين في المواقع، وأدلة إرشادية ومطويات سياحية.

هذا بالإضافة لافتقار هذه المواقع المهمة لخطة إدارة مواقع التراث، وقلة الوعي بأهمية التراث الثقافي والطبيعي لدى المجتمع المحلي. هذه المواقع تحتاج لعمليات الصيانة والترميم والتأهيل والتهيئة من أجل الحفاظ على معالمها التاريخية، بغرض تسويقها سياحياً وربطها بمشاريع التنمية السياحية المستدامة المقترحة في هذا البحث.

أما فيما يختص بموارد التراث الطبيعي فبالرغم من ثراء المنطقة بها إلا أنه يلاحظ أنها تفتقر بصورة رئيسة إلى وجود إدارة للمناطق الصحراوية والجبلية والوديان، التي تشكل محميات طبيعية يجب حمايتها والحفاظ عليها لتوظيفها في مشاريع التنمية السياحية وفق تخطيط سياحي يتخذ منهجية إدارة موارد التراث أساساً له.

٤ - الخدمات السياحية بمنطقة الدراسة

تشكل الخدمات السياحية رأس الرمح في العملية السياحية، فالتسهيلات التي تقدمها الخدمات السياحية تشمل أماكن الإقامة وضمان النقل والمواصلات والاتصالات. وفي الجانب الآخر فإن أكبر المعوقات التي تعوق تطور الاقتصاد السياحي الافتقار إلى التجهيزات المصنوعة (بناء المؤسسات التحتية للسياحة).

في مجال الخدمات السياحية، مع إدارة مثل مناطق التراث الثقافي والطبيعي بها، وتحويل قيم وموارد التراث الثقافي والطبيعي إلى تنمية سياحية مستدامة عن طريق التخطيط السياحي ووضع السياسات والخطط لإقامة المشاريع السياحية بها. وهذا ما تسعى إلى تحقيقه هذه الدراسة كهدف أساسي لها، من خلال وضع الخطط والسياسات لمشاريع سياحية يقترح إنشاؤها في المنطقة تعمل على توظيف الموارد الثقافية والطبيعية بها، وتحويلها إلى قيمة ومنافع اقتصادية واجتماعية تسهم في تنمية وتطوير المنطقة عبر الاستثمار السياحي.

٥- المشروعات السياحية المقترحة في منطقة الدراسة
بناءً على قاعدة البيانات المعلوماتية عن الإمكانيات والمقترحات السياحية في منطقة الدراسة (الثروة السياحية والخدمات السياحية)، التي تم حصرها جراء المسح الميداني في المنطقة، فقد تم وضع الأهداف والخطط والبرامج والآليات التي تعمل على تحويل هذه الموارد والخدمات السياحية إلى مشاريع تنمية سياحية يستفيد منها المجتمع المحلي اقتصادياً واجتماعياً.
تقترح الدراسة إنشاء ثلاثة مشاريع سياحية في المناطق التراثية يتم تنفيذها على مراحل، هي:

- أ) مشروع متحف التراث العمراني المفتوح في البلدة القديمة.
 - ب) منتزه تراثي سياحي وطني بمداخل صالح.
 - ج) منتزه تراثي وطني ترفيهي بحرة العويرض.
- تقترح الدراسة تنفيذ المشروع السياحي رقم (١) (متحف التراث العمراني المفتوح في البلدة القديمة في العلا) أولاً كنموذج للتخطيط السياحي في المنطقة،

الشبكة العنكبوتية (الإنترنت). وهذه الخدمة تستخدم لمتابعة حركة تجول السياح في المواقع السياحية ومعرفة مواقعهم داخل أماكن إقامتهم، أو لإجراء الاتصالات مع ذويهم ومعارفهم، أو لمتابعة سير أعمالهم في المناطق التي قدموا منها.

(٤, ٣) خدمات الإقامة والإعاشة

تشكل أماكن الإقامة إحدى أهم الضروريات في صناعة السياحة في أي مكان في العالم، وما يجب توفره هو التصميم المعماري الذي يعكس الطابع المحلي مع مراعاة النواحي الأمنية، والصحية والترفيهية. أما خدمات الإعاشة فالمقصود بها كل الخدمات التي تختص بإعداد الطعام ونوعيته وما يرغب السائح في تناوله، وتلك الأطعمة المعدة يجب أن تعكس الذوق المحلي، وذلك بتحضير بعض الوجبات المحلية للزوار. يوجد بالمنطقة فندقان بمستوى جيد تم تشغيلهما (فندق مدائن صالح وفندق أراك) وثالث شارف على اكتمال التشييد، وكلها تقع بالقرب من مناطق التراث الثقافي والطبيعي في المنطقة.

(٤, ٤) خدمات أخرى

تتوفر في المنطقة أيضاً بعض الخدمات الأخرى المهمة للتنمية السياحية تتمثل في المحلات التجارية (سوبر ماركت)، والأسواق الشعبية ومراكز صحية ودورات مياه. كما تتسم المنطقة أيضاً بالأمن الطبيعي وهو عامل أساسي في الجذب السياحي.

بالفعل يمكن القول بأن منطقة العلا بدأت في الظهور كواجهة سياحية ولكنها تحتاج إلى تكملة النقص

يكون قابلاً للتطبيق والتوظيف في مناطق تراثية أخرى بالمملكة العربية السعودية.

(١, ٥) مشروع متحف التراث العمراني المفتوح للبلدة القديمة

تتخذ المناطق التراثية أهميتها من خلال مجموعة من القيم الجمالية والمعمارية والوظيفية والتاريخية، إلى جانب القيم الاجتماعية والاقتصادية.

أهمية التخطيط السياحي للبلدة القديمة من أجل إنشاء مشروعاً للتنمية السياحية بها، ينبع من القيم التراثية العمرانية لهذا الموقع، الذي يحتوي على مبانٍ قديمة ذات مفردات نادرة ومنفردة، مستمدة من أصالتها ومهارة صناعتها (لوحة ٢٣)، فبالإضافة لقيمتها الجمالية والفنية فإنها أيضاً شاهد على الشخصية الثقافية للمكان والإنسان الذي عاش فيها، وبذلك تشكل استمرارية للثقافة والتراث العمراني، هذا بالإضافة إلى أنها تحتوي على مباني تراثية تمثل مورداً حقيقياً للاستثمار السياحي عن طريق إعادة تأهيلها واستخدامها وتوظيف مبانيها.

(١, ٥) معايير وأسس اختيار البلدة القديمة (كأنموذج)

هناك مجموعة من المعايير والأسس الموضوعية التي تميزت بها المنطقة، التي على ضوءها تم اختيارها لإنشاء مشروع متحف التراث العمراني المفتوح:

١- تمثل نظام عمراني منفرد يجب العمل على الحفاظ عليه.

٢- تركيز وتميز وتعدد الموارد الثقافية والطبيعية حولها.
٣- اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين بها، ممثلة في الجهود الكبيرة التي تبذلها الهيئة العليا للسياحة والآثار وذلك بإجراء عمليات الترميم والصيانة التي بدأت في البلدة القديمة وما زالت مستمرة. وقد تم الوقوف على ذلك خلال المسح الميداني للمنطقة، مما يساعد على تأهيلها وتهيتها كمنطقة جذب سياحي.
٤- توفر الحرف والصناعات التقليدية الجاذبة للسياح في المنطقة.

مكامن القوة في المنطقة المختارة:

(أ) عمرانياً:

- * أصالة النسيج العمراني التراثي بالمنطقة.
- * وجود مباني تراثية مميزة وفريدة.
- * توفر الخدمات السياحية.

(ب) اقتصادياً:

- * صناعات حرفية تقليدية جاذبة للسياحة.
- * أنشطة اقتصادية توفر فرص عمل لسكان المنطقة.

(ج) اجتماعياً:

- * ارتباط قوي للسكان بالمنطقة.
- * روابط اجتماعية قوية.
- * أصالة القيم التراثية.

مكامن الضعف في المنطقة المختارة

تجدر الإشارة إلى أن مكامن الضعف في المنطقة المختارة، كمتحف مفتوح، تتركز فقط حول الجانب العمراني والبنية التحتية، ويتمثل ذلك في تدهور حالة المباني التراثية وضعف بعض مقومات البنية التحتية للسياحة (الافتقار حالياً لمطار إقليمي) وفندق خمسة نجوم بمواصفات عالمية)، بالإضافة إلى عدم وجود سيارات الأجرة أو سيارات للإيجار.

(٢, ١, ٥) أهداف مشروع متحف التراث

العمراني المفتوح

يهدف هذا المشروع، من خلال توفير إعادة استخدام المباني التراثية كمتحف مفتوح، إلى تحقيق العديد من الأهداف، خاصة الاقتصادية والاجتماعية منها.

١ - توفير المباني التراثية والحفاظ عليها باستخدام سياحية جديدة تعمل على توفير دخل مميز يمكن استغلاله في ترميم وصيانة هذه المباني وحمايتها من التدهور والتدمير تمسياً مع أهداف المعاهدات والمواثيق الدولية للحفاظ على التراث العمراني.

٢ - تبني مفهوم السياحة المستدامة «Sustainable Tourism» في هذه المنطقة التراثية كوسيلة لإعادة إحياء القيم التاريخية والعمرانية والثقافية لهذا الموقع، عن طريق تهيئته وتأهيله كجاذب سياحي، وذلك من خلال إتباع الوسائل والطرق التالية:

(أ) ترميمه وصيانته والحفاظ عليه.

(ب) إعادة صياغة مخططاته العمرانية وذلك بتبني خطة هذا المشروع، الذي يجعل من المنطقة التراثية متحفاً تراثياً عمرانياً مفتوحاً يعمل على إعادة توفير مبانيها التراثية.

(ج) إعادة بناء الصورة الذهنية والبصرية التي كانت مرتبطة بهذه المنطقة التراثية وخلق صورة سياحية جاذبة للسياح الأجانب والمواطنين والسكان المحليين على السواء.

٣ - جعل المنطقة جزءاً من الحياة الترفيهية اليومية للمجتمع المحلي بإحياء تراثها وتاريخها وفنها المعماري المميز.

٤ - إحياء الموارد التراثية وإبراز قيمها التاريخية وأهميتها، وذلك من خلال توعية الأجيال الحالية بأهمية ثقافتهم وموروثاتهم وأصاله تقاليدهم وحضارتهم وخاصة عندما يرون اهتمام السياح الأجانب بها، مما يزيد فخرهم بثقافتهم وتراثهم وتعاضم الإحساس بهويتهم الوطنية والانتماء الحضاري.

٥ - توفير فرص لانتفاع النساء اقتصادياً من قطاع السياحة، وذلك بتوفير سوق لإنتاج الحرف والصناعات اليدوية والأطعمة التقليدية لبيعها للسياح. كما أنها تجذب قطاع واسع من سوق العائلات التي عادة ما تصطحب الأطفال معها.

(٣, ١, ٥) آلية تنفيذ مشروع متحف التراث

العمراني المفتوح

من أجل تحقيق أهداف هذا المشروع لابد من استخدام آليات تنفيذ ذات كفاءة وقدرة عالية لإثبات جدواه كعمل رائد «Pioneer» في مجال التنمية السياحية في منطقة الدراسة تتمثل في:

١ - تبني سياسة تسويق المكان التراثي Heritage place

«marketing». وهي سياسة لا تعني فقط الإعلام عن المكان للجذب السياحي وإنما تخطيطه سياحياً اعتماداً على قيمه التراثية والعمرانية والتاريخية المميزة، والعمل على الحفاظ عليه، وفتح شوارعه وتراثه العمراني للزوار بما يعود بالمنفعة الاقتصادية للمجتمع المحلي.

(٤, ١, ٥) هيكلية مشروع متحف التراث

العمراي المفتوح

تقوم المتاحف بدور مهم في الحفاظ على التراث الثقافي والطبيعي والتوعية بقيمة هذا التراث، كما أنها تقوم بدور فاعل في مجالات التنمية الاقتصادية والخدمات الاجتماعية. وقد بدأ حديثاً توظيف المتاحف المفتوحة في مجالات التنمية والاقتصاد السياحي كما هو ماثل في هذا المشروع.

يهدف مخطط وهيكلية هذا المشروع على جعل كل المنطقة التراثية متحفاً مفتوحاً باستخدامات سياحية لمبانيه تخدم الأهداف الرئيسة المرسومة له. يتكون مخطط المشروع من ثلاثة أقسام وهي:

(١, ٤, ١, ٥) العرض

جعل المنطقة التراثية كلها متحفاً مفتوحاً ومستديماً باستخدام العديد من مبانيه وشوارعه كصالات عرض تحوي العروض التالية:

١- عرض مقتنيات التراث الثقافي المختلفة في المنطقة بالتركيز على المقتنيات التي تعود للفترة الإسلامية، حيث تمثل المنطقة التراثية بكاملها أنموذجاً حياً ومتفرداً للنمط المعماري التقليدي للمدينة الإسلامية القديمة.

٢- عرض يمثل التراث المادي في المنطقة التراثية (العلاء القديمة). يمكن تقسيم هذا العرض إلى الأقسام التالية:

(أ) الحياة اليومية من البيت التقليدي في العلاء: يتم اختيار أحد البيوت المكتمل الهيكلية بغرفته

٢- إيجاد خدمات سياحية بالمنطقة (أسواق ومحلات للحرف والصناعات التقليدية) وكذلك عمل مهرجانات واستعراضات فلكلورية في المباني التراثية.

٣- إشراك المجتمع المحلي في آليات تنفيذ خطط هذا المشروع السياحي، وذلك بالتنسيق التام مع كل الجهات ذات الصلة بهذا الموضوع في المملكة العربية السعودية وخاصة الهيئة العليا للسياحة والآثار.

٤- وضع إستراتيجية التسويق السياحي للمكان «Tourism Marketing Strate-gy» باستخدام أكبر كم ممكن من الوسائل والوسائط الإعلامية، والشفاهية، والبصرية والسمعية.

فالكتابة تعدّ أداة إعلامية فعّالة وكثيراً ما تعكس الكتب تراثيات الشعوب وتبدع في وصف المكان بدقة. كما تقوم الصحف بدور مهم في إبراز التراث الثقافي والطبيعي، كما أن للوسائل السمعية والبصرية، كالإذاعة والتلفزيون والفضائيات، دور مهم في التوعية والتثقيف والدعاية، حيث تستطيع أداء رسالتها بصورة مبسطة وسلسلة عن التسوق لهذا المشروع حتى للذين لا يلمون بالقراءة والكتابة، هذا بالإضافة إلى ولوج مجالات التسويق السياحي لهذا المكان عالمياً من خلال الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وعمل (Website) يحمل اسم المنطقة والمشروع، وإدخال نظام المعلومات السياحية (T. I. S) في الترويج والدعاية لهذا المشروع السياحي.

- صناعة الفخار (المباخر، والمناقل).
- الصناعات الخشبية (النجارة - الأبواب، المفاتيح، والصناديق، والشبايك... إلخ).
- الصناعات الحجرية (المهراس، الرحي).
- الصناعات الجلدية (السعن، القربة، الأحذية).
- صناعات الغزل والنسيج (الأردية، الحوية، البشت).
- صناعات الخوص (السفر، الزنايل، المراوح)

(٢, ٤, ١, ٥) الأدوات السمعية والبصرية المستخدمة (Audio- Visual)

- أدوات خاصة بالعروض التوضيحية، وهي مكملات للعروض وتشمل تسجيلات في شكل أشرطة وأفلام كالآتي:
- ١- الأفلام التوثيقية الخاصة بالطقوس والمناسبات والعادات.
- ٢- مراحل وعمليات الحرف والصناعات اليدوية.
- ٣- مراحل العمليات الزراعية.
- ٤- مراحل بناء العمارة الشعبية وزخارفها.
- ٥- مراحل وأنماط الأطعمة الشعبية.
- ٦- الأغاني الشعبية.
- ٧- الرقصات الشعبية.
- ٨- المواقع الأثرية والرسوم الجدارية والنقوش والكتابات التي توجد في المنطقة.
- ٩- الألعاب والمهرجانات والفعاليات الشعبية.

وأقسامه المختلفة. داخل هذا البيت يتم عرض الحياة اليومية كما هي بأدواتها ونشاطاتها المختلفة، وذلك من أجل إحياء هذه المنازل واستمراريتها وربط الأجيال بقيم تراثهم الحضاري المعماري.

(ب) عرض خاص بالزراعة: يشمل أدوات الزراعة ومدى التغير الذي طرأ عليها وتنوعها. كذلك يشمل هذا العرض نماذج من المحصول الزراعي ومراحل العمليات الزراعية المختلفة بدءاً بتسوية الأرض وإعدادها، وبذر البذور، وأساليب الري المختلفة.

(ج) عرض خاص بالأزياء الشعبية والحلي والزينة بالإضافة للأدوات الموسيقية والطبول.

(د) عرض خاص للأطفال. يشمل أدوات الألعاب، والتنشئة، والتعليم التقليدي (الكتاتيب).

(هـ) عرض خاص بالتطبيب والتداوي. يشمل تجبير الكسور، والرقية الشرعية (بآيات من كتاب الله)، والمعارف الشعبية في مجالات التداوي والتطبيب الأخرى.

(و) عرض خاص بالحرفيين يفرد شارع كامل، داخل البلدة القديمة، يسمى شارع الحرفيين، يقدم عرضاً لعدد من الحرفيين اليدويين وهم يعملون في إنتاج منتجاتهم المختلفة في سياقها الطبيعي والاجتماعي والمادة الخام المستخدمة في ذلك، ومن أمثلتها:

(٣, ٤, ١, ٥) الأرشيف

يتم اختيار منزل معين يرمم ويصان ويحافظ عليه ويستخدم كقسم للأرشيف في المنطقة التراثية. فالأرشيف قسم ضروري مهم، حيث تصنف وتحفظ فيه المادة التي تم جمعها من تراث مادي وشفاهي ولم يتم عرضها حيث تحفظ بغرض الحفظ والدراسة. أيضاً تحفظ في هذا القسم التسجيلات الكتابية والصوتية من قصص شعبية أو أحاجي وأشعار وأنساب أو سير ذاتية للرواة. ويمثل هذا القسم مستودعاً مهماً للمعلومات عن الحياة الشعبية في المنطقة، وتقوم كل البحوث في المستقبل اعتماداً على المادة المحفوظة في الأرشيف. كذلك تتم مراقبة الاستمرار والتغير الثقافي من خلال المادة المحفوظة بهذا القسم. أيضاً يلحق بقسم الأرشيف مكتبة وقاعة للمحاضرات وقاعة خاصة للعروض المؤقتة.

٦- الخلاصة

التخطيط السياحي للمناطق التراثية مع وضع خطة إدارة هذه المناطق يؤدي إلى خلق تنمية مستدامة، وذلك عن طريق إنشاء مشروعات التنمية السياحية التي تعمل على توظيف المباني التراثية (العلاء أنموذجاً) باستخدامات سياحية جديدة توفر عائداً مالياً مميّزاً يمكن استغلاله في ترميمها وصيانتها وتأهيلها والحفاظ على أصالة نمطها المعماري.

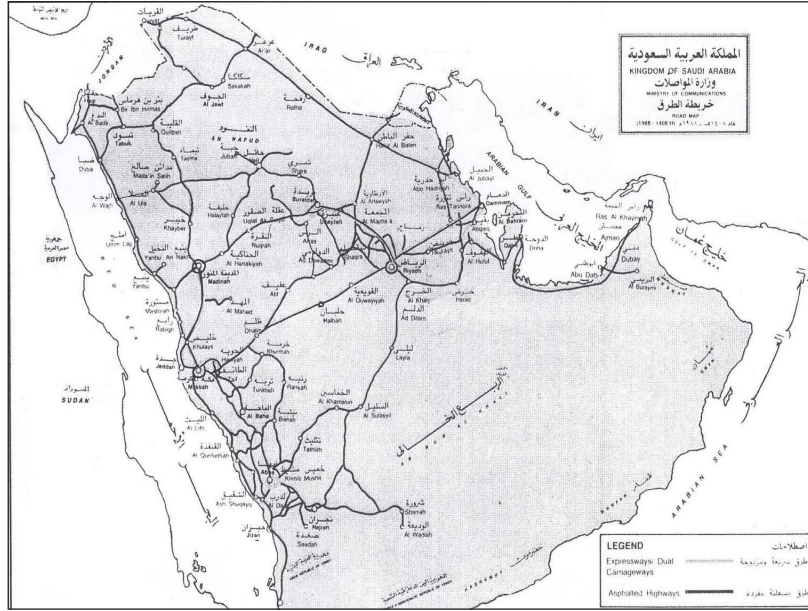
إن دور السياحة في تنمية اقتصاد منطقة الدراسة مرتبط بمدى الاهتمام بالبنات الأساسية للسياحة

«Tourism Infrastructure» المتمثلة في الخدمات التي تجعل السياح ينفقون بسخاء مقابل هذه الخدمات. هذا إضافة للحفاظ على الموارد الطبيعية والثقافية في المنطقة، وهذا يأتي بتضافر الجهود وتكاملها برسم السياسات والاستراتيجيات والبرامج الداعمة لإدارة هذه المناطق مع وضع الخارطة الاستثمارية للمنطقة التراثية.

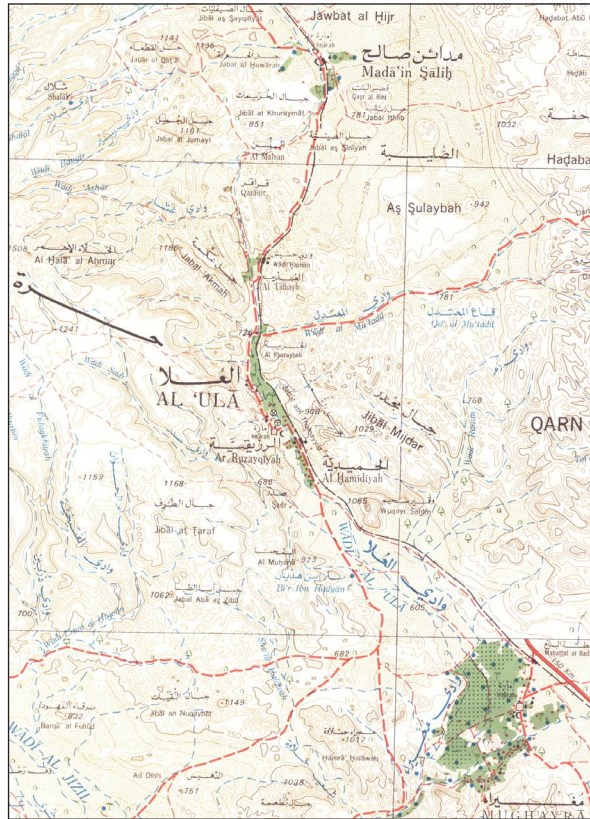
يمكن القول جملة، بأن المنطقة تزخر وتنعم بتراث ثقافي وطبيعي مذهل يؤهلها أن تكون الرائدة في مجال التنمية السياحية وصناعة السياحة، هذا إذا وجد قطاع الخدمات المزيد من الاهتمام والعناية، فهو المحرك الفعلي لتحويل السياحة إلى اقتصاد. فالاستثمار السياحي في المنطقة حالياً يعدّ في مرحلة الإمكان وقوة اقتصادية كامنة.

من خلال هذه الدراسة الخاصة بالتخطيط السياحي في المناطق التراثية والاستثمار في الاقتصاد السياحي (الموارد الطبيعية والثقافية)، نلاحظ مدى التناقض بين ثراء الثروة السياحية التي تتمتع بها منطقة الدراسة وقصور الاستثمار والتوظيف، ما يعني تجميد وتعطيل قوة اقتصادية كامنة يمكن أن تسهم بصورة فاعلة في خلق تنمية مستدامة في المنطقة. مما يدعو للاستجابة لشعار (الاستثمار السياحي والتنمية السياحية أولاً) وذلك بتكريس الجهد والتوظيف لهذه الثروة السياحية حتى تصبح المنطقة الرائدة في مجال الجذب السياحي، وأنموذجاً يحتذى به توظيفاً وتطبيقاً في المناطق التراثية الأخرى في المملكة العربية السعودية.

صور التخطيط السياحي للمناطق التراثية: العلا أنموذجاً



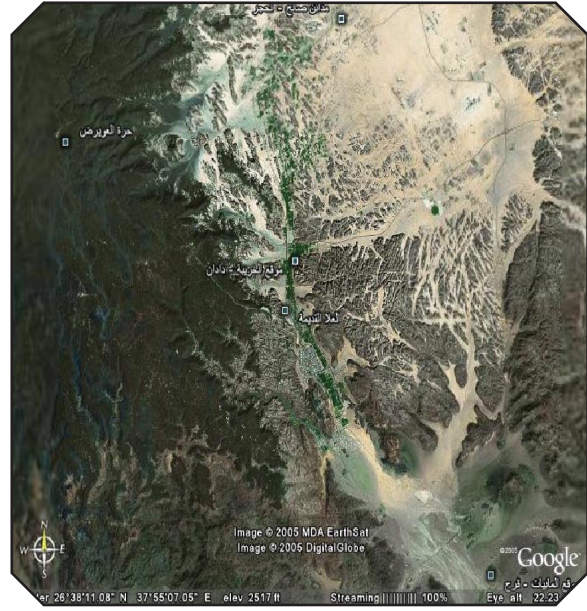
لوحة رقم (١) تمثل خارطة المملكة العربية السعودية وفيها موقع العلا.



لوحة رقم (٢) خارطة توضح موقع العلا.



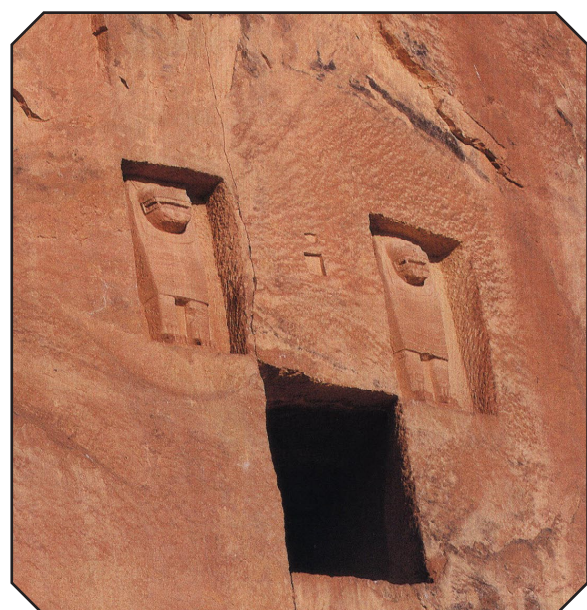
لوحة رقم (٥) تمثل الحوض من موقع الخريبة.



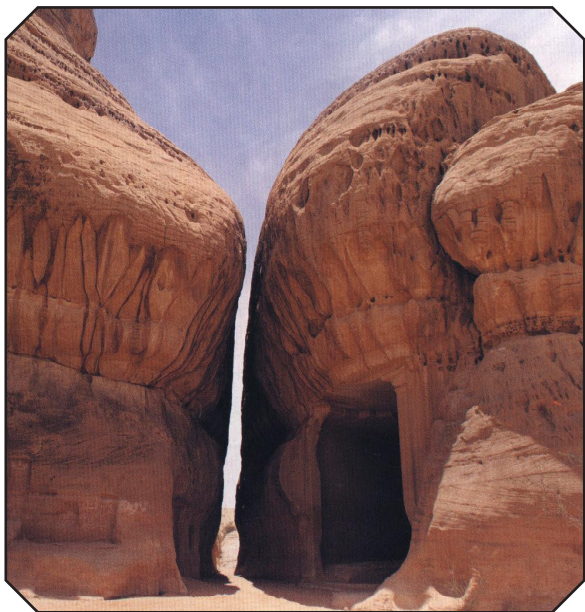
لوحة رقم (٣) منظر جوي يوضح تضاريس منطقة العلا، وحرّة العويرض في الغرب، وموقع دادان، والعلا القديمة، وقرح في الجنوب، ومدائن صالح في الشمال.



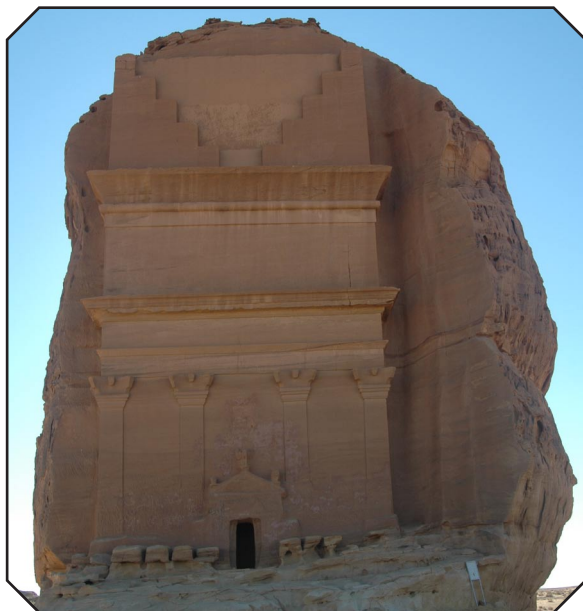
لوحة رقم (٦) صورة من عكمة.



لوحة رقم (٤) تمثل مقابر الأسود من الخريبة.



لوحة رقم (٩) الديوان



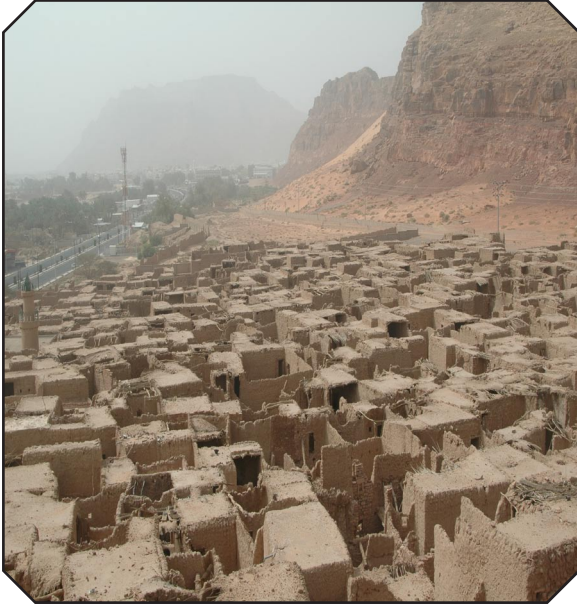
لوحة رقم (٧) قصر الفريد.



لوحة رقم (١٠) صورة توضح بعض مباني موقع قرح (المبايات).



لوحة رقم (٨) تمثل مجموعة مقابر قصر البنت.



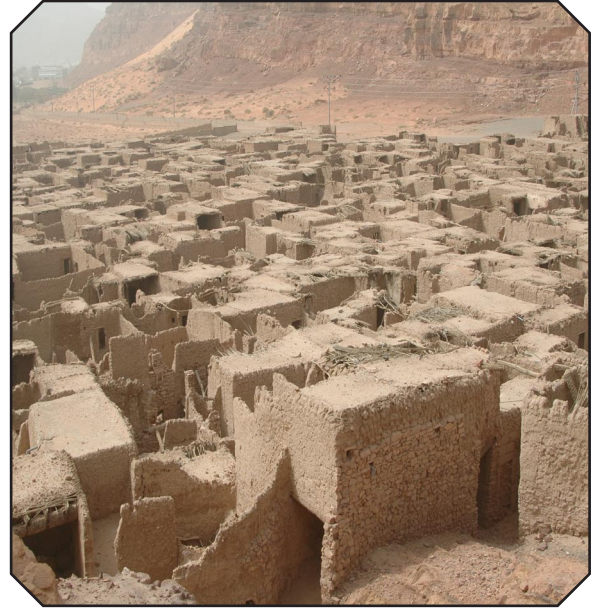
لوحة رقم (١٣) منظر آخر للنموذج الفريد للمدينة الإسلامية القديمة. صورة من على هضبة أم ناصر.



لوحة رقم (١١) تبين أحجار العلاء القديمة المجلوبة من الخريبة.



لوحة رقم (١٤) البلدة القديمة صورة من على هضبة أم ناصر تظهر الطريق المعبد الذي شق البلدة القديمة.



لوحة رقم (١٢) البلدة القديمة كنموذج للمدينة الإسلامية القديمة، صورة من على هضبة أم ناصر.



لوحة رقم (١٧) سكة الحديد العذيب.



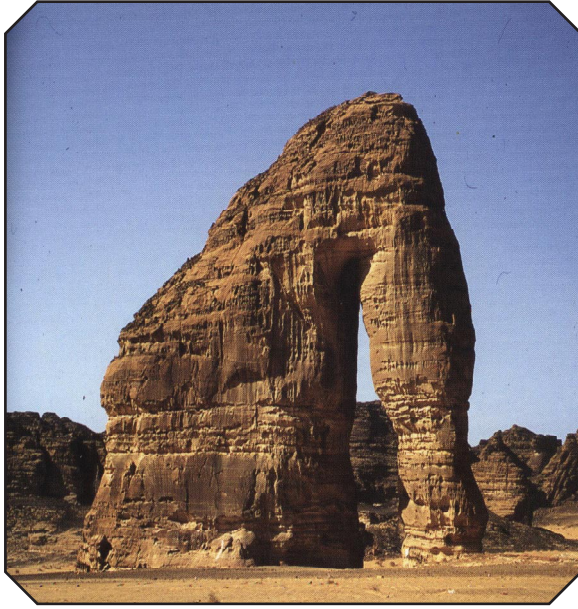
لوحة رقم (١٥) القلعة التي تنسب إلى موسى بن نصير فوق هضبة أم ناصر.



لوحة رقم (١٨) سكة حديد البديع.



لوحة رقم (١٦) سكة الحديد في موقع الحجر (مدائن صالح).



لوحة رقم (٢١) صورة جبل الفيل.



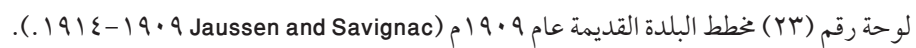
لوحة رقم (١٩) سكة الحديد في مدينة العلا.



لوحة رقم (٢٢) صورة موقع مطار مدائن صالح - العلا.



لوحة رقم (٢٠) القلعة الإسلامية في الحجر (مدائن صالح).



المصادر

العمراني للبلدة القديمة بمحافظة العلاء والمحافظة عليه. ١٤٢٩هـ. في طريقها للنشر.

- الزهراني، عبد الناصر بن عبد الرحمن. إدارة موارد التراث - العمارة - في المملكة العربية السعودية. وجهة نظر. «الاتجاهات الحديثة في إدارة المصادر التراثية» وورشة عمل بعنوان «كيفية تسويق المصادر التراثية»، خلال الفترة من ١٣-١٧ شعبان ١٤٢٨هـ الموافق ٢٦-٣٠ أغسطس ٢٠٠٧ م في تونس في الجمهورية التونسية. في طريقها للنشر.

- شويكان، سالم محمد. العلاء مهد الحضارات والتاريخ القديم. الرياض ١٤٢٤هـ.

- عبد الكريم، أحمد عبد الله أحمد علي. هذه هي العلاء بين الماضي والحاضر. (مراجعة وإخراج محمد سعد الحجيري) الجمعية التعاونية المتعددة الأغراض بالعلاء، الرياض. ١٤١٤هـ.

- العمير، د عبد الله بن إبراهيم وآخرون. حفرة مدينة قرح (المابيات) الإسلامية بمحافظة العلاء الموسم الأول لعام ١٤٢٥هـ. (الأطلال). العدد (١٩) (١٤٢٧هـ)، ٢١٧-٢٥٢.

- العنزي، زين معزي صالح. معجم وتاريخ القرى في وادي القرى، الرياض ١٤١٦هـ.

- غنيم، عثمان، وسعد، بنيتا نبيل. التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكان شامل ومتكامل، دار الصفا للنشر، الأردن ١٩٩٩م.

١- الإدريسي، محمد. نزهة المشتاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٢- الإصطخري، إبراهيم. مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ط ١، ١٩٢٧م.

٣- جلبي، أوليز الرحلة الحجازية، ترجمة وتحقيق الدكتور الصفصافي أحمد المرسى.

٤- ابن رسته أحمد بن عمر. الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ط ١، ١٨٩٢م.

المراجع

المراجع العربية:

- إبراهيم، محمد؛ الطلحي، ضيف الله؛ جيلمور، مايكل؛ مرسي، جمال. تقرير مبدئي عن نتائج الاستكشافات الأثرية في موقع المابيات الإسلامية الموسم الأول ١٤٠٤هـ. (الأطلال) عدد (٩)، (١٤٠٥هـ)، ١١٣-١٢٣.

- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وأبو الحسن، حسين بن علي. العلاء ومدائن صالح (حضارة مدينتين). دار القوافل - الرياض ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- الزهراني، عبد الناصر بن عبد الرحمن. التراث

- ICOMOS. Draft of the International Cultural Tourism Charter. ICOMOS, 1999.
- Murphy, Peter, Z. Tourism- Community approach. Routledge, London, 1985.
- Prentice, Richard. Tourism and Heritage Attractions. Routledge, London, 1993.
- WTO. UNEP Guidelines Development of National Parks WTO 2001.

- الفقير، بدر بن عادل. السياحة في محافظة العلا: موارد الجذب ومعوقات التنمية. الرياض ١٤٢٧هـ.

- قسيمة، كباشي حسين. تنمية الموارد الثقافية والطبيعية في الولاية الشمالية. ورقة عمل مقدمة لمؤتمر تنمية السياحة والآثار في الولاية الشمالية. السودان، أبريل ٢٠٠٥م. في طريقها للنشر.

- المعاهدة العالمية للسياحة الثقافية، منظمة السياحة العالمية ١٩٧٢م.

- نصيف، عبد الله آدم. العلا دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي. الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

المراجع الإنجليزية:

- Dekadt, Emanuel. Tourism- Passport to development. A Joint World Bank- Linesco study, 1979.
- Getz, Donald. Event Management and event Tourism. Cognizant communications corporation, U.S.A. 1997.
- Gisem, kabbashi, H. Cultural Resources Management. The case of the Fourth Cataract Region. Unpublished ph. D. thesis, University of Khartoum, 2001.
- Jaussen, A. & Savignac, R., Mission Archeologique en Arbie, Paris 1909-1914.

Tourism Planning of Heritage Sites: Al Ula Case Study.

Abdulnaser A. Al-Zahrani

Assistant Professor, Department of Archaeology, College of Tourism & Archaeology, King Saud University

(Dates of receipt 29/12/2007; date of publication 21/1/2008)

ABSTRACT. encouraging the tourism development in the various areas and parts of the Kingdom.

The Al Ula area, with its rich cultural and natural resources, constitutes a unique Tourism planning system that depends mainly on the cultural resource management approach.

This tourism planning aims to develop, promote and habilitate the available resource to be serve as a tourism attraction, that could help in the construction of a real exemplified tourism model, which can easily be applied in different areas and parts of the Kingdom.

The study depends chiefly on the results of the observations and information that had been obtained during the field survey that was carried out in the area between 2003-2007. In addition, the study referred to the available published sources on the area.

Keywords: plan, development, tourism, management, resource, heritage, cultural.

مراجعات الكتب

Chami, F., The Unity of African Ancient History, 3000 B.C. to A.D. 500, Mauritius, 2006.

حمد بن محمد بن صراي

أستاذ مشارك في قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات

والنقوش، والفصل الثامن: الدلائل المستمدة من الآثار المستمرة والثقافة المتعاصرة، والفصل التاسع: الدلائل المستمدة من الآثار الدالة على التجارة والتواصل، والفصل العاشر: الدلائل المستمدة من الإشارات التاريخية.

- المقطع الرابع: وهو خلاصة الكتاب، ويحتوي الفصل الحادي عشر وهو حول الثقافة الأفريقية القديمة والقوى المحركة للتجارة.

وفي تمهيد للكتاب يقول شامي أن كتابه هذا هو حصيلة سنوات من البحث وعمليات التنقيب في الساحل الشرقي لأفريقيا. وحدد شامي أن هدف الدراسة هو إعادة استكشاف الأنظمة الثقافية القديمة غير المعروفة في جنوب الصحراء الكبرى. وأيضاً تأهيل المعرفة الواردة في الكتاب الموسوعي الذي أصدرته اليونيسكو حول تاريخ وحضارة وآثار أفريقيا. وهو يقر أن كتابه هذا ليس الأول في تاريخ أفريقيا القديم ولكنه الأول من نوعه في تقديم أقصى ما يستطيع من معلومات مركزة ودقيقة مستخلصة من كثير من المصادر والمراجع.

- وحدة التاريخ الأفريقي من عام ٣٠٠٠ ق.م. إلى ٥٠٠ م. للباحث والعالم الأثري فيليكس شامي (Felix Chami) ويتألف الكتاب من ٢٤٦ صفحة، وبه عدد كبير من الأشكال والرسومات والصور والخرائط. ويحتوي على أربعة مقاطع: الأول: يشمل المقدمة والفصلين الأول والثاني إضافة إلى مقدمة. وهذا المقطع عبارة عن خلفية جغرافية للقارة الأفريقية.

- المقطع الثاني حول المشاكل العلمية لدراسة التاريخ الأفريقي القديم، وبه الفصل الثالث بعنوان: الصعوبات التي تواجه الدراسات لتاريخ أفريقيا القديم، والفصل الرابع بعنوان: خلفية حول التساؤل عن علاقة الثقافة الأفريقية القديمة بالتجارة، والفصل الخامس بعنوان: مسائل نظرية.

- المقطع الثالث: بعنوان: تصنيف الدلائل، ويحتوي: الفصل السادس: تصنيف الدلائل المستمدة من أصول الألفاظ والكلمات وتاريخها، والفصل السابع: الدلائل المستمدة من آثار الرسومات

ويحدّد المؤلف في الفصل الثالث عدداً من الصعوبات في التاريخ الأفريقي القديم التي يراها فيما يلي:

(١) أصول شعب البانتو وانتشارهم وطرق تحرّكاتهم ولغاتهم.

(٢) وجود المجتمع الرعوي في العصور الحجرية في الوادي المتصدّع والمناطق القريبة منه في كلّ من تنزانيا وكينيا.

(٣) المستوطنات البشرية في الساحل الشرقي لأفريقيا في فترة القرون الميلادية الثلاثة الأولى.

(٤) شعوب جنوب الصحراء الكبرى وثقافتهم ولغاتهم.

وفي الفصل الرابع يناقش المؤلف الخلفية التاريخية الثقافية والتجارية لأفريقيا القديمة. ويستعرض فيه الدراسات العلمية حول هذا الموضوع بين عامي ١٨٥٠ و١٩٦٩. ويتحدث فيه أيضاً عن تحرّكات البانتو في منطقة الكونغو والبحيرات الكبرى. ويناقش هذه المصادر والدراسات والبحوث وينتقدها ويستعرض آراءه حولها. مع الإشارة إلى الوضع الآثاري والتنقيب عن آثار البانتو وغيرهم. إضافة إلى الخلفيات اللغوية والتاريخية. وفي هذا الفصل يتطرّق إلى أهالي العصور الحجرية وأصولهم ومواقعهم في الساحل الشرقي لأفريقيا.

وفي الفصل الخامس يتعمّق شامي في الموضوع النظري والفكري ويناقش عدداً من النظريات التاريخية واللغوية والفرضيات في الدراسة المتعلقة بالماضي الأفريقي مع استعراضه لعدد من المؤلفات في هذا الموضوع. ويقدم مجموعة من النماذج الخاصة

ويعتقد أنه اعتمد على معلومات متنوعة لغوية وآثارية وتاريخية وأنثروبولوجية. وأن هذا الكتاب هو حصيلة متطورة للعمل الآثاري الأفريقي.

ويشرح شامي في مقدمته أنّ كتابه يهتم بإيضاح تاريخ أفريقيا القديم وكيف نشأت الشعوب الأفريقية الحالية. ويلقي الضوء على أهم الحضارات القديمة في أفريقيا مثل بلاد بونت وبانشيا وأزانيا. وينطلق من خلال معرفة الأمم والشعوب الأخرى بأفريقيا وسكانها وخيراتها ومواردها. ويؤكد شامي أنّ الاستكشاف الأوربي شجّع الأوروبيين على دراسة تاريخ وثقافة وآثار الشعوب والحضارات الأفريقية القديمة. ولهذا بعث الأوروبيون بعثات و فرق الاستكشاف والتنقيب والبحث في أفريقيا. وكانت بدايات القرن العشرين مهمة في ظهور النظريات والافتراضات والتفسيرات للتاريخ الأفريقي. وكان القرن العشرين قرن السيطرة والاحتلال الغربي لأفريقيا التي كانت ميداناً لدراساتهم وبحوثهم واستكشافاتهم الآثارية. ولهذا فإن شامي يرى كتابه محاولة لكسر الاحتكار الغربي لميدان الدراسات الآثارية الأفريقية. وأنه يقدم تفسيرات جديدة معتمدة على التراث الأفريقي الصحيح. وهو أيضاً محاولة في سبيل تفسير كيف وجدت المجموعات اللغوية الأفريقية في مواضعها الحالية؟

وفي الفصل الخاص بالخلفية الجغرافية يتحدث شامي عن المناطق الجغرافية التي يغطيها كتابه وهي وادي النيل والبحر الأحمر ومنطقة البحيرات الكبرى والساحل الشرقي الأفريقي والجزر المحاذية له، وجزر كوموروس ومدغشقر، ومنطقة جنوب وجنوب غرب الصحراء الكبرى، وأقاليم أفريقيا الغربية والصحراء الكبرى وبلاد المغرب.

الشرقي الأفريقي بصورة خاصة. ويستعرض أيضاً عدداً من المعثورات خاصّة الحجارة والفخار مرفقة برسومات وصور لهذه المعثورات.

ويتّضح في الفصلين التاسع والعاشر شخصية الباحث العلمية الناقدة وفي اعتقادي أنّ هذين الفصلين هما أهم فصول الكتاب لاندماج الجوانب الآثارية بالكتابية. ويركّز شامي في الفصلين على الدلائل الآثارية في التجارة والتواصل والتاريخ. ويستشهد بكل أثر يدلّ على تواصل أفريقيا خاصة ساحلها الشرقي بالعالم الخارجي وهو ما سمّاه العالم الروماني وعالم المحيط الهندي. ويبدو أنّ الاستكشافات والتنقيبات الآثارية الحديثة والمعاصر أكبر معين لشامي في هذا الموضوع لأنه أدرك ما لم يدركه غير من الباحثين والآثاريين والمؤرّخين السابقين. وهنا تظهر أهمية الكشف الآثاري في تثبيت أو نفي قصص التاريخ وحكايات الماضي. ومن أهم اللقى التي ركّز عليها المؤلف هي العملات والخرز والفخاريات التي وضع لها جداول مقارنة لإثبات أرائه الخاصة بالتواصل مع العالم الخارجي. ويكثر في الفصلين الصور والرسومات والخرائط.

ويناقش الباحث بجديّة وحديّة المواضيع الجغرافية الثلاثة المهمة في التاريخ الأفريقي القديم وهي بلاد بونت وبانشيا وأزانيا. وهي المناطق التي أطلق عليها شامي مسمى «حضارات» أو «ثقافات» والتي يبيّن أنّها أسس الحضارة الأفريقية. واستعرض الباحث عدداً من المصادر القديمة وبالذات النقوش والكتابات المصرية القديمة والمصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية والمصادر الصينية والهندية. وهو في هذا الموضوع يعطي اهتماماً أكبر بالمصادر الكلاسيكية على اعتبار أنها تدلّ على تواصل أفريقيا وبالذات ساحلها الشرقي بالعالم الروماني.

بالماضي الأفريقي مثل طبيعة المجتمع البشري، ووحدة التاريخ الثقافي الأفريقي القديم، والنظام الاجتماعي والاقتصادي. وهو في هذا الفصل مستعرض أكثر منه ناقد لأن القضايا التي يناقشها خارجة عن إطار تخصصه الآثاري. وهو بالتالي لم يقدم سوى تلخيصاً جيداً لعدد من النظريات والفرضيات.

وفي الفصول التالية أي من السادس إلى العاشر تبرز شخصية الكاتب العلمية الآثارية حيث يناقش في الفصل السادس مجموعة من التشابهات اللغوية والمعاني والحروف في مختلف اللغات الأفريقية. وفي الفصل السابع يتحدّث شامي عن رسومات الكهوف والصخور وأماكن وجودها وانتشارها وكيفية تأريخ الرسومات وأصول العلامات والأشكال الموجودة على صخور الحصر الكبري. ويحتوي هذا الفصل عدداً من الصور الملونة والجداول وأشكال الحروف.

ويستعرض شامي في الفصل الثامن الدلائل الآثارية بشيء من التنظير والمناقشة النظرية، ويستفيض في هذا الأمر ويتبدى ذلك بحديثه عن المعلومات الآثارية القديمة وما أخفته وما تجاهلته من حقائق في محاولة منه لتصحيح بعض الرؤى والأفكار المتعلقة بالعصور الحجرية والعصر الحديدي ومعيشة سكانها من خلال اللقى الآثارية والرسومات والجانب اللغوي مستعرضاً في ذلك بعض الدراسات الأوروبية ومناقشاً ومتقدداً لها. ثم ينتقل من المعلومات الآثارية القديمة إلى الحديثة التي وحسب نظره غيرت من الرؤى القديمة خاصة فيما يتعلّق بسكان العصرين الحجري والحديدي مستشهداً بالاستكشافات الآثارية الحديثة التي جرت في أواخر القرن الماضي في منطقة البحيرات الكبرى والساحل

وجعل شامي الفصل الحادي عشر هو خاتمة وخلاصة الكتاب وهو يحتل الصفحات من ١٨٦ إلى ٢١٩. وهي بلا شك خلاصة واسعة كرّر فيها بعض ما طرحه سابقا في كتابه مع التركيز على التوزيع الجغرافي الذي ذكره سابقا عن أفريقيا. ويضع لهذا الفصل عدداً من العناوين الفرعية مثل: مصر والجزء الجنوبي من أفريقيا من ٣٠٠٠ إلى ١٠٠٠ ق.م.، والفترة الزمنية بين عامي ١٠٠٠ و ٦٠٠ ق.م.، والفترة بين عامي ٦٠٠ و ٣٠٠ ق.م. وهي التي أطلق عليها شامي فترة التراجع والتنافس للسيطرة على السوق الأفريقية الشرقية. ويكرّر في هذا الفصل أيضاً حديثه عن حضارات بونت وبانشيا وأزانيا.

وينجم فيليكس شامي الكتاب بقائمة طويلة ومفيدة من المصادر والمراجع المهمة والتي يحتاجها باحثي التاريخ القديم لأفريقيا.

ومن ملاحظاتي على الكتاب:

(١) بروز شخصية فيليكس شامي العلمية المتميزة. وكتابه هذا في رأيي مهم لدارسي التاريخ الأفريقي القديم.

(٢) بذل شامي جهوداً كبيرة لإبراز الصلة الوثيقة بين الساحل الشرقي، تحديداً، والعالم اليوناني/الروماني قبل مجيء الإسلام إلى الساحل مع الجزم لإثبات هذه الصلة التي جعلها أيضاً تمتدّ إلى الداخل الأفريقي.

(٣) ونظراً لقلّة المعثورات الأثرية العائدة لما قبل الإسلام وبالذات في الساحل الشرقي الأفريقي اندفع مجموعة من علماء الآثار الكينيين والتانزانيين وعلى رأسهم فيليكس شامي إلى البحث الحثيث عن تاريخ المنطقة في فترة ما قبل الإسلام والتعسف

في إصدار الأحكام في محاولة لإبراز هذا التاريخ والتأكيد على ما أطلقوا عليه الحضارة السواحيلية التي تمتدّ جذورها في أعماق التاريخ.

(٤) مبالغة شامي في إصدار الأحكام على معثورات ما قبل الإسلام في الساحل الشرقي لأفريقيا فمثلاً قال (في هذا الكتاب وفي غيره من بحوثه ودراساته) عن عدد من اللقى الأثرية التي عُثر عليها في أحد كهوف جزيرة جواني (Juani) الواقعة بالقرب من الساحل الترناني أنها أحد أعظم المكتشفات الأثرية في الساحل الشرقي، وأنها معجزة. وقال: أنها يمكن أن تساهم في تغيير آثار الساحل الشرقي. وذكر أن هذه المعثورات ستزيد الدلائل الأثرية التي تؤكد أن الساحل الشرقي كان جزءاً مهماً في حضارة وتاريخ المحيط الهندي.

(٥) تأكيده أكثر من مرة على ما سماه بالحضارة والثقافة السواحيلية على أنها نتاج شبكة التجارة في المحيط الهندي قبل الإسلام وأنها كانت على تواصل وارتباط بالحضارة اليونانية قبل مجيء الإسلام.

(٦) وفي حديثه عن حضارة أزانيا في الساحل الشرقي لأفريقيا نجده قسّمها زمنياً إلى عهدين الأول بين عامي ١٠٠ ق.م. و ٣٠٠ ق.م. وهو يراها أنها فترة البروز ثم الازدهار والتطور. وهي الفترة المعاصرة للازدهار والامتداد الروماني إلى المحيط الهندي واندراج الساحل الشرقي ضمن شبكة الاقتصاد العالمي الروماني. وحسب قوله أنه في هذا العهد تواصل الساحل الأفريقي بالداخل ووصل إلى بحيرة فيكتوريا والبحيرات العظمى. وأكد أيضاً أنه في هذا العهد وصل التجار الرومان وغيرهم إلى الساحل وتبادلوا مع أهله البضائع والسلع بيعاً وشراءً. والعهد الثاني

المسلمين منهم، الذين يحاولون البحث في تاريخ المنطقة قبل الإسلام لإيجاد أي أثر يشير إلى ازدهارها ونموها وتطورها. وأخشى أن يكون الهدف من وراء ذلك هو إثبات أن الإسلام ومبادئه وتعاليمه لم تضيف شيئاً إلى أهالي الساحل. وإلى الآن لم يتم العثور على آثار عظيمة وعمائر كبيرة ومدن فسيحة مترامية الأطراف تعود إلى ما قبل مجيء المسلمين إلى المنطقة. ولا أعتقد أن محاولات شامي وغيره في إثبات صلة الساحل الشرقي بالعالم الروماني تنجح في إثبات التحضر والتمدن في المنطقة. وحتى ما أطلق عليه مسمى حضارة «أزانيا» لا يعدو كونه إشارات متناثرة في بعض المصادر الكلاسيكية مثل جغرافية استرابون وجغرافية بطليموس والتاريخ الطبيعي لبيني وكتاب الطواف حول البحر الإريتري تتطلب جهوداً كبيرة في جمعها وتفسيرها وشرحها. وحتى ما ورد من إشارات لا يدل على قيام ما يمكن أن يسمى «حضارة» بمعناها العام والواسع الذي يشمل كافة أمور الحياة من ثقافة وفكر وديانة وصناعة واقتصاد وفنون وعمارة وآداب. ومن الجدير بالذكر أن هذه الإشارات غالباً ما تؤكد الجانب الانتاجي الحيواني والنباتي والمعدني الذي تتمتع به المنطقة.

(٨) يتضح من خلال الكتاب تخصص شامي في آثار الساحل الشرقي لأفريقيا فهو يقدم في هذا الإطار أبداع ما عنده من علم وتجربة واستكشاف إلا أنه قصر في حديثه عن مناطق وأقاليم أفريقيا الأخرى.

(٩) يركز المؤلف على الفرضيات والنظريات في علوم التاريخ والآثار والاجتماع واللغات والإنسان مما يجعل القارئ في حيرة من أمره، وتجعله ينقطع أحياناً عن متابعة الفكرة الرئيسية.

بين عامي ٣٠٠ إلى ٥٠٠ م. وهو عهد، حسب رأيه، شهدت فيه أزانيا نوعاً من الضعف والاضمحلال نتيجة لتغير موازين القوى في بلاد الشرق حين فقد الرومان ثم البيزنطيون تفوقهم في البحر الأحمر وزال في أواخره إشراف البيزنطيين على مضيق باب المندب. وكان في بدايات هذا العهد الامتداد الساساني إلى جنوب شبه الجزيرة العربية والسيطرة على مدخل البحر الأحمر وخليج عدن. وحل فيه مصطلح بلاد الزنج محل اسم أزانيا.

وفي اعتقادي أن هذا التقسيم الزمني لا يستبعد حدوثه إن أثبتت الآثار والمصادر القديمة مثل هذا التقسيم. ولكن الآثار في هذا المضمار لا تزال قليلة ولا تدل أبداً على هذا التقسيم الزمني. وإن أثبتت الآثار في المستقبل مثل ذلك فعلينا تجنب المبالغة في الدور الروماني وتأثيره على الاقتصاد العالمي أو كما يراه فيليكس شامي الركيزة الرئيسة في هذا الاقتصاد العالمي. لأنه ومن الجدير بالذكر أن التجارة بين سواحل المحيط الهندي والخليج العربي وشرق أفريقيا والبحر الأحمر كانت عميقة الجذور وسابقة للوجود الروماني. وفي اعتقادي أيضاً أن الامتداد الساساني إلى المحيط الهندي لا يعني أبداً كساد الاقتصاد وضعف التواصل مع الساحل الأفريقي إذ أن عمق التواصل تضيف قوة إلى الاقتصاد الفارسي وهذا ما حرص عليه الساسانيون الذين كانوا يعملون على تنشيط التبادل التجاري بين منطقة الخليج العربي وبين بقية سواحل المحيط الهندي ومنها الساحل الشرقي.

(٧) يبدو من خلال هذا الكتاب وبحوث ودراسات أخرى لشامي أنه ينتمي إلى مدرسة تضم نخبة من الباحثين والآثارين والمؤرخين الكينيين والتزانيين، وخاصة غير

العمارة التقليدية في نجد للدكتور عبد الله بن إبراهيم العمير الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، دراسات أثرية (٤)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

عبد الله بن محمد المنيف

أستاذ مساعد- كلية السياحة والآثار- قسم الآثار

إخراج مثل هذا العمل وتوثيقه الذي لاشك أن الاستفادة منه سوف تكون للزملاء، ثم للطلاب في كلية السياحة بجميع أقسامها والباحثين الآخرين، خصوصاً في ظل عدم وجود كتاب أو بحث متكامل يتناول مثل هذا الموضوع. وبعد التعريف بأهمية هذا الكتاب أريد أن أشرك القارئ الكريم في جولة مشتركة أطوف به في استعراض الموضوعات التي تناولها الكتاب، فأقول: يقع الكتاب في ٢٤٦ صفحة من الحجم العادي، وبطباعة جميلة وإخراج جميل. وزود الكتاب بصور توضيحية ملونة وأشكال متعددة للنماذج والمواد والعناصر المعمارية التي ورد ذكرها. وإن كنت أفضل لو أن الصور شاملة لكل العناصر التي تناولها الكتاب، لأهمية الصورة في مثل هذه الأعمال الجادة.

وقد قسم الباحث كتابه إلى عشر وحدات، سبقها تقديم باسم رئيس هيئة تحرير الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ثم ملخصاً للبحث، ثم مقدمة الباحث التي جاءت في حدود ثلاث صفحات.

وبدأ بعد المقدمة بما عبر به الباحث بأولاً من الكتاب، وكانت بعنوان: التكوين العمراني والعوامل المؤثرة فيه، وتكلم في البداية عن التكوين العمراني والعوامل المؤثرة فيه، تناولها خلال ثلاث نقاط هي:

- المؤثرات المناخية.
- المؤثرات البيئية والمادية.
- المؤثرات الدينية والاجتماعية.

يحمد لجامعة الملك سعود، ممثلة بكلية السياحة والآثار وما ينضوي تحت لوائها من جمعيات، تلك الجهود المباركة والدعم غير المحدود للمساعدة في طبع الكثير من الدراسات الجادة والعلمية التي يقوم على إنتاجها وإعدادها أساتذة فضلاء وعلماء أجلاء، فمن هذا المنطلق اطلعت على كتاب صدر حديثاً تحت عنوان: العمارة التقليدية في نجد، للأستاذ المشارك عبد الله بن إبراهيم العمير، وهو من الأساتذة الذين أدين لهم باحترام كبير بالشكر الجزيل ناهيك عن كونه من الأساتذة المتمكنين الذي يطرقون مثل هذه المجالات الجديدة في البحث، فله من الجميع الشكر الجهم.

وإذا علمنا أنه لا توجد دراسة شاملة ووافية وحصرية تناولت مثل هذه الموضوعات وطرقها. ولا شك أن تناول مثل هذه الموضوعات وطرقها، وتوثيق كل المراحل التي مرت بها عملية العمارة التقليدية لأمر يدعو للتشجيع والدعم المعنوي. لأن توثيق مثل هذه المفردات والطرائق المتعلقة بالعمارة التقليدية ليس بالأمر اليسير، خصوصاً أنه سوف يأتي يوم في ظل هذا التطور العمراني ودخول الآلة في مجال العمارة بشكل يكاد يكون شاملاً لجميع ما يتم عمله في البناء، سوف نجد أنفسنا أمام غياب يكاد يكون شامل لمثل هذه المفردات والتسميات من ذاكرة الناس وتصبح في عداد الكلمات المندثرة. وهذا الاندثار سوف يكون متزامناً مع اندثار العاملين والممارسين لهذا الفعل، أو من ينقل هذه التسميات مشافهة من العاملين أنفسهم أو ممن نقل عنهم.

لهذا يحمد للدكتور العمير هذا الجهد الرائع والموفق في

التسلسل المعماري الذي توقعه، وليس بحسب التسلسل الهجائي الذي طبقه مع ما سبق من عناصر. أما خامساً: فكان عن الوحدات المعمارية ومرافقها، وقسمها الباحث بحسب ما تؤديه من دور، لذلك صنف مواد هذا المبحث إلى:

- عناصر المنفعة.

- عناصر الاتصال والحركة.

قصد بالأول جميع ما يقدم منفعة للسكان، من غرف وعبر عنها بالحجرة، وعبر عن الثاني بوسائل الاتصال، وقصد بذلك الدرج والممرات المسهلة في الاتصال بين أجزاء المسكن. أما سادساً: فكان عن العناصر المعمارية. وقسمها الباحث إلى عناصر إنشائية، وعناصر تحصينية ودفاعية، وعناصر تهوية وإنارة، وعناصر استخدام المياه وتصريفها.

أما سابعاً: فكان عن العناصر الزخرفية التجميلية. وهي تلك الوحدات المضافة أو المحزوزة على الوحدات المعمارية المحلية للعمارة التقليدية بجميع فروعها.

أما ثامناً: فكان عن المشتغلون بالبناء (الحرفية) ومهامهم، حيث تناول الباحث مسميات العاملين ودرجاتهم والمهام التي يمارسها كل عامل.

أما تاسعاً: فكان عن أدوات العمارة ومستلزماتها، وقد استعرضها الباحث ورتبها ترتيباً هجائياً. وقد تنوعت هذه الأدوات بحسب نوع المادة المصنوع منها، إضافة إلى المهمة التي تنفذها تلك الأداة.

أما عاشراً: فكان عن مصطلحات العمارة التقليدية، وقد رتبها الباحث هجائياً، إلا أنه لم يعطها رقماً تسلسلياً كما فعل مع غيرها، مع ملاحظ أن هذه المصطلحات قد تكون أكثر مما سبق لو توزعت هذه المصطلحات وفق آلية غير ما هو معمول به هنا. كما أن بعض المصطلحات تختلف مسمياتها ووظائفها من منطقة إلى أخرى داخل منطقة الدراسة.

ثم يختم الباحث كتابه بخلاصة دراسته مع أهم النتائج التي توصل إليها. وبهذا أنهى هذا العرض لهذا الكتاب المهم في بابه.

تناول تحت كل مفردة مما سبق جملة من الأسباب والمؤثرات بحسب ما توافر لديه، وإن كنت أزعج أن عملية دمج نجد كلها في كهذا عمل قد يكون غير مستوفى، ولكن من الجانب الآخر يعذر الباحث في ذلك كون هذه الدراسة يفترض أن تكون قاعدة وقائدة إلى كثير من التفاصيل والتخصص الأكثر عند من يأتي فيما بعد ويتناول عمارة كل منطقة من مناطق نجد المتباينة الطرز والتفاصيل إضافة إلى تنوع واختلاف المواد الأولية تنوعاً وطريقة إعداد وصناعة.

أما ثانياً: فكان عنوانه، مواد البناء: تحضيرها واستخدامها، وقد قسمها الباحث إلى خمسة نقاط رتبها هجائياً، وهي:

- الأحجار. تناول في ذلك جميع أنواع الحجر المستخدم، ووظائفه بجميع مسمياته.

- الأخشاب وتوابعها. وذكر كل ما يندرج تحت مسمى الأخشاب، مضيفاً إلى ذلك الاستخدامات التي يهدف إليها المعماري.

- الطين والرمل. تناول الباحث في هذا الجزء أيضاً جميع المسميات التي يستعملها العامل في العمارة التقليدية.

- مواد التبييض. وهي في الغالب تعتمد على نوعين فقط مما يستخدم في العمارة التقليدية.

- المواد العضوية. وقصد بها الباحث بعض مخلفات النخيل والأشجار.

أما ثالثاً: فكان عن أساليب البناء، والتي تنوعت بين البناء باللبن، والبناء بالعروق، والبناء بالأحجار.

أما رابعاً فكان عن، مراحل البناء وخطواته: والتي شملت تهيئة موقع البناء وتخطيطه، ثم حفر الأساسات وبناءؤها، ثم بناء الجدران، ثم عمل فتحات الأبواب والنوافذ، ثم نصب الأعمدة، ثم تشييد السواري، ثم توليف السواكف وتركيبها، ثم الطمام، ثم بناء السترة، ثم مشاش الجدران، ثم تكحيل الأحجار، ثم رباب الأرضيات، ثم تخصيص العناصر المعمارية، ثم ترميم الوحدات المعمارية ومرافقها.

وقد رتب الباحث مواد هذا الجزء من الكتاب بحسب